الهجرات العربية القادمة من الشرق ودورها في انتشار الإسلام في السودان (قبل الفونج)

د.هاجر أبو القاسم محمد الهادي
أ. مشارك - جامعة أم درمان الأهلية

المستخلص:

اشتمل البحث على لمحة جغرافية لبلاد السودان إذ تعتمد الدراسة التاريخية لأي منطقة على المقومات الجغرافية لها وشملت الدراسة أثر هذه المقومات على جذب المهاجرين العرب واستقرارهم فيها في الفترة التي سبقت قيام دولة الفونج . كما أشارت الدراسة إلى أهمية المعابر التي دخل عن طريقها العرب من الجزيرة العربية إلى مناطق شرق ووسط السودان بالتركيز على المعبر الشرقي ودوره في تسهيل انسياب حركة الهجرات العربية.وألقت الدراسة الضوء على أهم القبائل العربية التي دخلت عبر الطريق الشرقي وتأثيرها على السكان المحليين والتحولات التاريخية في تلك المناطق، كما ناقشت الدراسة أثر تدفق الهجرات العربية على السودان لتأكيد دور هذه القبائل في المناطق الشرقية والوسطى قبل دخول المسلمين الى بلاد النوبة، أضف إلى ذلك الأسباب السياسية والاقتصادية في منطقة الجزيرة العربية التى كانت من أقوى الأسباب لدفع هؤلاء العرب نحو السودان. وبينت الدراسة دور العلماء الوافدين والتجار في نشر الإسلام بين السكان المحليين، وكيف أدى انصهار العرب وتزاوجهم بالسودانيين بصورة تدريجية إلى تكوين إمارات إسلامية كان لها الدور المعظم في اتساع دائرة انتشار الإسلام قبل القرن السادس عشر الميلادي.

Abstract:

The research included a geographical glimpse of the country of Sudan، as the historical study of any region depends on its geographical features. The study included the effects of those components on attracting Arab immigrants and their settlement therein the period before the establishment of the Funj State. The study also indicated the importance of the crossings through which Arabs entered from the Arabian Peninsula to the eastern and central regions of Sudan، focusing on the eastern crossing and its role in

facilitating the flow of Arab migrations. The study highlights the most important Arab tribes that entered through the eastern road and its impact on the local population and historical transitions in those areas، the study also discussed the impact of Arab migrations flow on Sudan to confirm the role of immigrant tribes in the eastern and central regions before entrance of the Muslims into the Nuba. In addition political and economic reasons in the Arabian Peninsula region، which were among the strongest reasons for pushing these Arabs towards Sudan.The study showed the role of foreign scholars and merchants in spreading Islam among the local population، and how the assimilation of Arabs and their intermarriage with the Sudanese gradually led to the formation of Islamic Emirates that had the greatest role in the expansion of Islam before the sixteenth century AD.

المقدمة:

خرجت العديد من القبائل من شبه الجزيرة الجزيرة العربية ذلك المستودع البشري الهائل إلى المناطق المجاورة بسبب الأحوال الاقتصادية في الجزيرة، وقد بدأت هذه الهجرات العربية في الوفود إلى السودان منذ وقت مبكر، وقد كانت هناك دوافع وأسباب كثيرة أدت إلى هجرات القبائل العربية منها اقتصادية ومنها سياسية أو عسكرية أو دعوية، ومهما تكن أسباب هذه الهجرات فإنها قد أحدثت تحولات كبيرة في المناطق التي استقرت فيها.

وتأتي أهمية انتشار الإسلام في السودان قبل دولة الفونج في أن هذه الفترة الزمنية يشوبها شيء من الغموض وندرة الكتابات والوثائق، لذلك اختار الباحثة الكتابة في هذا الموضوع لاستكمال التوثيق العلمي لتلك الفترة حيث هناك العديد من المراجع في فترة تاريخ السودان القديم والممالك المسيحية، كما هناك العديد من المراجع والمصادر المتعلقة بفترة الفونج وما بعدها وذلك من خلال اطلاعي على المصادر من خلال دار الوثائق القومية فنأمل أن تكون هذه الأبحاث هي إضافة حقيقية للمكتبات السودانية والإسلامية.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت انتشار الإسلام في السودان مؤلفات مصطفى محمد مسعد ومؤلفات مكي شبيكة ونعوم شقير، ويوسف فضل حسن – وغيرهم من الكتاب والباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع وآمل أن يكون البحث مكملاً حقيقياً لما كتب عن هذه الفترة.

أما المصادر التي اعتمد عليها الباحث هي كتب االمسعودي واليعقوبي وابن حوقل وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم ممن كتب عن هذه الفترة التاريخية.

أما المراجع الحديثة فهناك العديد من المراجع أهمها مؤلفات مصطفى محمد مسعد ويوسف فضل حسن ومراجع انجليزية ومترجمة كمؤلفات تريمنجهام وماكمايكل كنماذج لمؤلفين أجانب كتبوا عن تاريخ السودان وقد استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخي وهو المنهج الأمثل لكتابة مثل هذه الأبحاث التاريخية. واشتملت الدراسة على المقومات الجغرافية لبلاد السودان ثم عوامل دخول الإسلام إلى السودان وهي الطرق والمعابر بالتركيز على المعبر الشرقي وأثره في تسهيل وجذب الهجرات العربية،وتناولت الدراسة تأثر بلاد السودان بالقبائل العربية الوافدة من الشرق، وحركة العلماء والتجار مما ادى إلى الانصهار والاندماج نتج عنه تكوين إمارات ودويلات ساهمت بدور كبير في نشر الإسلام وانتهت بظهور مقومات ونذر قيام دولة الفونج الإسلامية.

آمل أن يستفيد من هذه الدراسة الباحثون وأن تكون مفتاحاً لأبحاث أخرى في مجال انتشار الإسلام في السودان.

جغرافية السودان:

لدراسة تاريخ أي منطقة أو دولة لا بد من الإشارة إلى جغرافيتها، وذلك لأن الجغرافية هي التي تحدد النشاط البشري وتتحكم في حياة الإنسان سلباً وإيجاباً، ولما كان عنوان الدراسة هو دور الهجرات القادمة من الشرق في انتشار الإسلام في السودان قبل الفونج لزم الإشارة إلى جغرافية هذه البلاد من حيث حدودها وامتدادها والمقومات الجغرافية فيها.

أطلق الجغرافيون المسلمون في القرون الوسطى اسم السودان على البلاد التي تمتد من الحزام الإفريقي إلى جنوب الصحراء، من ساحل البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، وشاع هذا الاسم عند الإدريسي والمسعودي وابن خلدون والمقريزي، ثم اختصر اسم السودان على الجزء الشرقي منها الذي يعرف بالسودان النيلي، ويقع جنوب مصر، ويمثل قطاعاً مهماً في إقليمين إفريقيين هما حوض النيل والإقليم السوداني الطبيعي.

أما حوض النيل فهو المنطقة التي تلتقي عندها المياه القادمة من هضبة الحبشة شرقاً ومياه البحيرات القادمة من الجنوب ويسيران معاً في النيل الرئيسي صوب الشمال ويحد السودان شمالاً مصر وجنوباً كينيا وأوغندا والكنغو وشرقاً إثيوبيا وإريتريا وغرباً إفريقيا الوسطى وتشاد وليبيا[1].

وبالرغم من أن التعبير العربي (بلاد السودان) يشمل معظم إفريقيا جنوب الصحراء إلا أن الاسم السودان أصبح يطلق على المنطقة المتوسطة التي تقع بين المجموعة الحامية لشمال إفريقيا والمجموعة الزنجية في وسط إفريقيا[2].

والسودان كلمة عربية مشتقة من تعبير بلاد السود وهو اللفظ الذي كان يطلقه العرب في العصور الوسطى على سكان الأقاليم المتسعة من إفريقيا فيما وراء الصحراء الكبرى، وهو ما لاحظه العرب على لون البشرة الغالب على سكان هذا الإقليم الكبير، وهكذا كان استخدام اللفظ على نفس نمط لفظ إثيوبيا الذي استخدمه هومر وهيرودوت إشارةً إلى الأراضي التي يسكنها الأثيوبيون – أي أصحاب الوجوه المحترقة أو السوداء[3].

والسودان جمع أسود، وبلاد السودان هي التي يقطنها السود من إفريقيا، وقد جرت العادة أن يطلق هذا اسم على البلاد التي تمتد من الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي إلى مدينة مصوع على البحر الأحمر، وقد كانت تسمى عند قدماء المصريين باسم تانحسو أي أرض السودان، وقد تعتبر الحد الفاصل بين مصر والسودان في عهود مختلفة من تاريخ السودان[4].

وهناك حقيقة أساسية هي أن حدود الدولة تتغير وفقاً لسياسات الأنظمة المتعاقبة، وقد تتوسع حدود الدولة أو تنكمش وفقاً لسياسة الدولة في الفترة التاريخية المعينة، لذلك تغيرت حدود السودان وأخذت أشكالاً مختلفة منذ العصور القديمة مروراً بالعصور الوسطى والحديثة، حتى الحدود القومية التي رسمها المستعمر تغيرت في الوقت الحالي وذلك بعد انفصال جنوب السودان.

أما سكان السودان أو النوبيون فهم خليط من الزنوج والقوقازيين، ومن البجة الذين سكنوا الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، وهؤلاء من أصل حامي، والغالبية جاءوا من جزيرة العرب إلى مقرهم هذا في العصور القديمة، وهم يشبهون في شكلهم قدماء المصريين الذين عاشوا قبل عهد الأسرات، وأشهر قبائلهم البشاريين والأمرأر والهدندوة والبني عامر، بالإضافة إلى الزنوج وهم سكان إفريقيا الأصليين الذين اتصلوا في العصور القديمة عن طريق الجوار والمصاهرة بجماعات غير زنجية فامتزجت دماؤهم فأصبح من العسير الحكم على نقاء دمائهم من عناصر أجنبية[5].

أما من ناحية الطبيعة الجغرافية فالسودان يغلب عليه الطابع السهلي حيث تسوده سهول متسعة تمتد من الصحراء في الشمال إلى حدود الغابة الاستوائية في الجنوب، وتمتد هذه السهول ما بين الهضبة الإثيوبية والحدود

الغربية، وتبرز فوق هذه السهول بعض المرتفعات الجبلية مثل جبل مرة في الغرب، ومرتفعات جبال النوبة في الوسط، كما يمتد نطاق طويل من الكثبان الرملية بين هذه المرتفعات، وتمتد سلسلة جبال البحر الأحمر بمحاذاة الساحل شرقاً، ويعبر سهول السودان نهر النيل وفروعه التي تنبع من خارج السودان ويمتد النيل بعد التقاء فروعه نحو الشمال باسم النيل النوبي، ولكن سرعان ما تعترضه بعض العقبات تعرف باسم الجنادل أو الشلالات التي تبدأ بخانق السبلوقة شمال الخرطوم وتنتهي بجندل أسوان في الشمال، وتعتبر أراضي الجزيرة ما بين النيل الأزرق والأبيض أخصب أراضي السودان لزراعة المحاصيل والقطن، ويغلب على الجزء الشرقي التلال المرتفعة التي تحصر بينها وبين البحر سهلاً ساحلياً يبلغ أقصى اتساع له في الجنوب في دلتا طوكر ودلتا خور بركة ويضيق كلما اتجهنا شمالاً، وفي الغرب تنحدر من هضاب دارفور ثلاثة أودية هي هور وكو وأزوم[6].

أما المناخ فيتدرج ما بين الظروف المدارية الرطبة في الجنوب إلى الظروف الصحراوية الجافة في الشمال، كما أن موقعه في شرق إفريقيا يجعله بعيداً عن التأثيرات الحرارية المحيطة، ويتميز بارتفاع درجات الحرارة بشكل عام، وتعد الأمطار من أكثر عناصر المناخ أهمية في سهول السودان، وتتزايد كميتها بالتدريج من الشمال إلى الجنوب[7].

وتنقسم السنة في السودان إلى فصلين أولهما صيف حار تتساقط أثناءه أمطار في هيئة زخات سيلية مصحوبة بعواصف رعدية، وثانيهما شتاء جاف بارد نسبياً، وأدى نظام سقوط المطر إلى ارتباط النبات الطبيعي به حيث ظهر نطاق حشائش السافنا القصيرة في وسط السودان، وفي الجنوب تزداد الغابات وحشائش السافنا البستانية[8].

الطرق والمعابر التي دخل بها العرب والمسلمون السودان:

الصلات العربية الإفريقية قديمة، فلقد بلغت الهجرات العربية مداها في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بسبعة قرون، كما نشطت حركة التجارة بين العرب وإفريقيا في زمن البطالمة والرومان. توالت هجراتهم نحو إفريقيا ونتج عن ذلك قيام دولتي الحبشة وأكسوم. استمر العرب المهاجرون يتجهون نحو قلب القارة ووصل بعضهم إلى أرض البجة. وشهدت العصور الأولى شعوباً وقبائل سامية تتجه نحو إفريقيا، ونتيجة لهذه الهجرات تزايدت الهجرات العربية في المناطق الإفريقية. وعلى وجه الخصوص في منطقة القرن الإفريقي ووادي النيل والشمال الإفريقي. وقد سلكت هذه القبائل عدة معابر وطرق مختلفة في طريقها إلى وادي النيل وقلب القارة الإفريقية حيث تهيأت لها ظروف الاستقرار والإقامة.

هنالك العديد من المعابر التي سلكتها القبائل العربية إلى داخل إفريقيا عبر عصور وأزمنة طويلة[9]. وظلت الجزيرة العربية هي المصدر الوحيد لتلك الهجرات إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرةً وهناك ثمة رأي يقول: (هناك ثلاثة أبواب دخلت منها الدماء العربية ومعها الثقافة العربية إلى السودان: فالباب الشرقي من السودان كان واحداً من هذه الأبواب، والباب الثاني هو الباب الشمالي في وسط السودان والذي يفضي إلى مجرى النيل، أما الباب الثالث فهو الطريق الشمالي الغربي أو الطريق الليبي، ولعل هذا الباب لم يكن مصدراً للثقافة العربية إلا بعد الإسلام)[10]. يعني هذا أن كلًا من الجزيرة العربية ومصر كانا مصدراً للهجرات العربية التي حملت الثقافة الإسلامية إلى أرض النيل الأوسط.[11].

كانت السويس من أهم المعابر التي سلكتها الهجرات إلى إفريقيا وصولا إلى مصر والسودان ومنها إلى بقية أجزاء في القارة. وكان لهذا المعبر أهمية بشرية لها خطورتها باعتباره الطريق البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي والإسلامي في آسيا وإفريقيا ومن هذا الطريق عبرت القبائل ووصلت عبر هذا الطريق والمسالك الصحراوية الأخرى إلى وسط إفريقيا. ولا شك أن هذه الهجرات والحركات البشرية من آسيا كان لها أعظم الأثر في تعمير إفريقيا، كما أن الهجرات العربية السابقة لظهور الإسلام مهدت الطريق فيما بعد لدخول الإسلام إلى إفريقيا.

والطريق الشمالي وهو طريق برزخ في السويس، فهو ذو دور خطير في تاريخ العلاقات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادي النيل الأدنى، منذ فجر التاريخ ولم تخل الآثار المصرية القديمة من الإشارة إلى بدو سيناء – فلسطين وسوريا وغيرهم من العرب الشماليين الذين عرفتهم مصر منذ عهد الأسرات الأول إما تجاراً يختلفون إلى الأسواق المصرية أو غزاة كالهكسوس، أو مهددين لمصالح الامبراطورية المصرية في سورية أو لاجئين يرغبون العيش في كنف الفراعنة وطبعت هذه العلاقات اللغة المصرية بالطابع السامي[12]. كانت مصر وحضارتها القديمة من أكبر المؤثرات على بلاد النوبة نتيجة اتصال طبيعي وهجرات بشرية وتبادل تجاري قديم بين البلدين، فقد ارتبط السودان بمصر منذ أقدم العصور، وكان هذا الارتباط وليد عوامل طبيعية واقتصادية واجتماعية، ولعب البحر الأحمر دوره كحلقة وصل بين مصر والسودان وبين شبه الجزيرة العربية كانت مصر هي أكثر الطرق عبوراً إلى وادي النيل، فكانت سيناء هي القنيطرة المفتوحة للهجرات العربية إلى مصر ومنها جنوباً إلى السودان.

أهمية المعبرالشرقي:

لقد كان معبر باب المندب منذ أقدم العصور يمثل- مصدراً أساسياً للهجرات البشرية حيث انتشر سكان الجنوب الغربي للجزيرة العربية على السواحل الشرقية للقارة الإفريقية ثم اتجهوا بعدها شمالاً وغرباً بحيث استقرت منهم جماعات عربية في بلاد الحبشة والسودان، وتسربت أعداد منهم بعد ذلك غرباً وعليه فقد كان طريق باب المندب من أهم طرق الهجرة وكذلك أهم طرق التبادل التجاري والحضاري قبل الإسلام حيث ترك عرب الجنوب في الجانب الإفريقي أثرهم الحضاري والثقافي والعمراني إذ إن عرب اليمن قد هاجروا إلى الحبشة وهضبتها ونشروا فيها ثقافتهم العربية إذ يرجع الاتصال بين اليمن والحبشة إلى وقت بعيد فقد تدفق المهاجرون الساميون من هناك تارة غزاة وتارةً تجاراً وطوروا مع الوقت حضارة إثيوبية فيها الكثير من السمات العربية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي ولم يقتصر تأثير هذه الهجرات على الحبشة وحدها وإنما وصل إلى داخل حدود السودان ونتيجة لهذه الهجرات تزايدت أعدادهم وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة، وتشير الروايات إلى قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل وشمال إفريقيا وأن هذه الحملات تركت جماعات استقروا في بلاد النوبة والبجة وشمال إفريقيا؛ وإن هؤلاء الحميريين ورثوا حكم هذه البلاد نتيجة للمصاهرة التي تمت بينهم وبين حكام هذه البلاد فورثوا الملك وفقاً لنظام التوريث بالأمومة الذي يورث ابن الأخت أو ابن البنت[13]. والباب الشرقي قديم، فقد ولج منه العرب إلى شرق السودان وقد كثر دخول العرب عن طريق البحر الأحمر، فقد عثر على بعض الشواهد في مقابر المسافرين من العرب في هضاب البحر الأحمر التي يرجع تاريخها إلى سنة 900هـ - وهي أقدم النقوش العربية في السودان[14]، فقد عرف عرب مناطق شرق السودان قبل الإسلام ووصلوا مصر والسودان للتجارة، باحثين عن الذهب والعاج والبهارات وغيرها، وكثيراً ما عبروا بوغاز باب المندب أو برزخ السويس والبحر الأحمر، وقد استقر بعض هؤلاء دون شك في البلاد[15]، كما أن الرابطة كانت بين ساحلي البحر الأحمر قوية منذ أقدم العصور عن طريق باب المندب الذي لا يتجاوز عرضه عشرة أميال، وإذا عرفت أن هذا البوغاز كان قريباً لشرق إفريقيا بالسودان سهل علينا أن ندرك كونه معبراً رئيساً للسودان في تلك العصور الجاهلية. ولما كانت صلة النوبيين بالعرب قديمة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام وتؤيد هذه الحقيقة الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية ذلك أن البحر الأحمر لم يكن في وقت من الأوقات يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية والإفريقية. ولا يزيد اتساع

البحر على المائة وعشرين ميلاً عن السودان وليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة وفي الجنوب يضيق البحر الأحمر جداً عند بوغاز باب المندب حتى لا يزيد على عشرة أميال وهو الطريق الذي سلكته الأجناس والسلالات إلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين[16].

لم يكن البحر الأحمر يمثل عقبة أمام الاتصال بين الجزيرة العربية ووادي النيل ومنطقة شرق القارة كانت بلاد اليمن وما يليها مصدراً لهجرات عديدة أثرت تأثيراً بالغاً في الهضبة الحبشية وأعالي النيل الأزرق ونهر عطبرة، وارتريا وسواحل السودان الشرقية، ومن هنا كان للبحر الأحمر دور مهم في الربط بين قارتي آسيا وإفريقيا لأنه لم يكن منطقة عازلة بين القارتين بل كان دائماً حلقة اتصال عميقة منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطئ الإفريقي الغربي المقابل قبل ظهور الإسلام. وكانت وسيلة العرب لعبور البحر الأحمر هي السفن الصغيرة التي تستطيع اجتياز البحر بسهولة، لذلك يعتبر البحر الأحمر من أهم المعابر إلى إفريقية وخصوصاً إلى السودان الشرقي[17].

فقد يذكر ابن بطوطة أنه عندما وصل إلى جزيرة سواكن وجدها تحت حكم شريف مكي آلت إليه من قبل البجة أخواله، وله جيش مؤلف من البجة وأولاد كاهل وعرب جهينة، وهنا يدل هذا النص على وصول عدد غير يسير من عرب الحجاز، ووصلت جهينة عن طريق الشرق[18].

كانت أولى الهجرات الإسلامية التي قامت في فجر الإسلام هي هجرة العرب المسلمين إلى الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، ويرجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نصح أصحابه بالهجرة إلى الحبشة نظراً لمعرفة العرب بأرض الحبشة خلال الاتصالات القديمة، والحبشة في ذلك الحين كانت تمثلها مملكة أكسوم، التي تمتد من الحبشة إلى داخل الأراضي السودانية، وقبائل هذه البلاد كانوا من الأحباش والبني عامر والحلنقة والهدندوة مما يفسر أن الإسلام دخل هذه المنطقة منذ زمن مبكر أي منذ أن كانت الدعوة في أطوارها الأولى أي أن بلاد السودان الشرقي كانت أسبق بمعرفة الإسلام من المدينة المنورة.

وكانت أقوام من ربيعة وهوازن وجهينة وبني الكنز قد قدموا إلى هذه البلاد وظهر من بينهم علماء وفقهاء عنوا بحفظ كتاب الله وتجويده وتفسيره وانتشر الإسلام والقرآن على أيديهم[19].

ويؤكد محمد عوض في كتابه أن الجغرافية ساهمت في هجرة العرب في قوله: أهم الحقائق الجغرافية هي قرب السودان من الجزيرة العربية إذ لم

يكن البحر في أي وقت من الأوقات حاجزاً يمنع الاتصال بين الشواطئ الآسيوية العربية وبين الشواطئ الإفريقية، ولا يكاد اتساع البحر الأحمر يزيد على المائة والعشرين ميلاً مما يسهل اجتيازه بالسفن الصغيرة وجميع الكتاب يسلمون بأن الاتصال بين الأطراف الجنوبية لجزيرة العرب وبين السواحل الإفريقية التي تقابلها، أمر قديم وقد تدفقت العديد من السلالات والأجناس من هذا الطريق إلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين[20].

كان للهجرات العربية إلى السودان منافذ في الشرق والشمال والشمال الغربي، فمن الشرق نزحت بعض القبائل العربية وسكنت على الساحل الشرقي المقابل للجزيرة العربية أو تجاوزته إلى السودان الأوسط والسودان الغربي ونزح بعضها من الشمال عن طريق وادي النيل وهو الذي أدى إلى تكوين القبائل العربية التي تعيش حول نهر النيل في شمال السودان ووسطه[21]، كما نزح بعضها من الشمال الغربي أو الطريق الليبي الذي كان مصدراً لكثير من الهجرات القديمة والحديثة.

وبذلك كان لهذه الهجرات ثلاث منافذ رئيسية، لعل أقدمها طريق الشرق ثم طريق الشمال، أما الطريق الثالث وهو الليبي ولعله لم يكن مصدراً للثقافة العربية إلا بعد الإسلام[22]. ولعل ما يهمنا هنا هو المعبر الشرقي ودراسة أثر هذا المنفذ في وصول الهجرات العربية إلى بلاد السودان الشرقي والأوسط.

ولما كانت هذه المعابر والطرق هي التي سهلت الهجرات العربية إلى السودان وكان دخول الإسلام إلى السودان عن طريق هؤلاء العرب، كان لا بد من دراسة هذه الهجرات والقبائل التي ساهمت في نشر الإسلام عن طريق مساكنة ومجاورة ومصاهرة السكان الوطنيين في ذلك الوقت.

الهجرات العربية ودورها في نشر الإسلام:

ولعل من أهم أسباب انتشار الإسلام في السودان بعد المعابر والطرق هو تلك الهجرات العربية التي قدمت إلى السودان، حملت معها العروبة والإسلام. لقد كانت العديد من المناطق في القرن الإفريقي ووادي النيل والشمال الإفريقي مناطق شبه عربية قبل ظهور الإسلام، بل أن هذه المناطق قد قطعت المراحل الكبيرة في طريق عروبتها قبل آلاف السنين، وتعربت لغة وجنساً ولكن العامل الحاسم في عروبة هذه المناطق قد بدأ بظهور نور الإسلام وانتشاره في أنحاء شبه الجزيرة العربية، ذلك لأنه كان لظهور نور الإسلام وانتشاره آثار عظيمة ونتائج باهرة في تاريخ العرب والمسلمين، فقد أمدت الرسالة الإسلامية السماوية الأمة العربية بسياج فكري ودينى ساعدهم على خلق وحدة إسلامية تمثلت في

إنشاء خلافة عظيمة تحت لواء الإسلام وراية القرآن، فخرجت موجات عربية متتابعة تدعو إلى الدين الجديد وتسلك نفس الطرق التي سلكتها الهجرات السابقة إلى وادي النيل وبقية المناطق الإفريقية. وأحدثت تغييرات مهمة في وادي النيل وشمال إفريقيا مما أدى إلى ارتباط ثقافي وفكري واجتماعي ببقية الوطن العربي. والعروبة تشتمل على عناصر عديدة، نكتفي بثلاثة عناصر، وهي:

أولاً: النسب العربي أو الدماء العربية أي أن تكون الجماعة أو القبيلة لها صلة نسب عربي أو تنتمي إلى أصل عربي قديماً أو حديثًا من الجزيرة العربية وسكانها.

ثانياً: الديانة وهي في هذه الحالة الإسلام، الدين الحنيفي، الذي حمل رسالته النبي العربي (ﷺ) في القرن السابع الميلادي وانتشر على يد العرب على سائر الأمصار وكان دعاته في القرون الأولى، وفي معظم القرون التالية من العرب أنفسهم.

ثالثاً: اللغة العربية التي انتشرت بانتشار العرب واقتبستها شعوب كثيرة صاهرت العرب واتصلت بهم وأصبحوا بفضل هذا الاتصال وتلك المعاشرة يمثلون ركناً أساسياً من أركان العروبة.

وتعتبر هذه العناصر الثلاثة قد أثرت في السودان تأثيراً واسعاً وعميقاً بحيث عمت جميع أرجائه عدا الأطراف الجنوبية التي كانت إلى وقت قريب – في عزلة عن السودان ولم تصل إليها العروبة إلا في وقت متأخر[23].

ويمكن أن نقسم مظاهر انتشار العروبة إلى ثلاثة أقسام:

1. جماعات اعتنقت الإسلام واتصلت بالنسب العربي اتصالاً وثيقاً ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة وهؤلاء هم النوبة والبجة وسكان الجبال في دارفور وهي جهات تمتاز بالعزلة ولا يسهل التوغل فيها ومع ذلك فإن السلالة العربية قد تغلغلت فيها، وقد كان من سياسة بعضهم، وحباً في سهولة نشر الإسلام أن يتعلموا لغة البجة مثلاً حتى يخالطوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.
2. جماعات ظهرت فيها الثقافة والدماء العربية على ثقافتها القديمة ونسبها الأول، ومع ذلك لا يزال علماء الأجناس ينسبونهم إلى العنصر الحامي القديم مثل العبابدة وينسبونهم إلى البجة والمحس سكان جزيرة توتي والنيل الأزرق فهؤلاء لم يبق لهم من نسبهم القديم سوى الاسم.
3. جماعات عربية تسودها الدماء العربية والإسلام واللغة العربية والتي ليس لها نسب آخر أو ثقافة أخرى وهذه هي الجماعات الأكثر عدداً والتي يغلب انتشارها في السودان اليوم[24].

لقد بدأت الهجرات العربية إلى وادي النيل والشمال الإفريقي منذ وقت بعيد، ولكن العامل الحاسم في عروبة هذه المناطق بدأ بظهور نور الإسلام الذي كان له آثار عظيمة فقد وحد العرب تحت لواء الإسلام، فخرجت موجات متتابعة من العرب والمسلمين تدعو إلى الدين الجديد وكان من الطبيعي أن تسلك هذه الهجرات نفس الطريق الذي سلكته الهجرات العربية السابقة للإسلام.

وكانت الهجرة الأولى للمسلمين عندما تعرض المسلمين الأوائل لإيذاء قريش مما دفع رسول الله ﷺ للتفكير في هجرة أصحابه إلى الحبشة، وبعدها توالت هجرات المسلمين العرب إلى إفريقيا.

ولما كانت مصر قد ارتبطت بالجزيرة العربية وشعوبها من قبل الإسلام بعلاقات ودية والدليل على ذلك أن المقوقس حاكم مصر أهدى إلى الرسول (ﷺ) هدية رداً على دعوته له للإسلام، كما أسلم بعض المصريين قبل أن ينجح عمرو بن العاص في تحرير مصر من الحكم البيزنطي في عام 20 ت641-م[25].

وإذا تتبعنا النشاط الإنساني خارج السودان أو حوله والمؤثرات المباشرة على الحياة السودانية فإن الحوادث اليومية كانت متأثرة بهجرات العرب إلى السودان وذلك يرتبط بمجرى الحياة السياسية في البلاد العربية وبالأخص يرتبط فيها بتاريخ الدولة الأموية والعباسية والفاطمية وأثر هذه الأنظمة السياسية وانعكاساتها على حركة الإسلام والتوسع العربي في مصر ومن ثم السودان، ومن خلال الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية نستطيع أن ندرك سبب انتشار العرب المسلمين والدوافع السياسية والمذاهب الدينية وأثرها في دخول العرب والمسلمين إلى السودان[26].

في خلال القرون السبعة التي تلت فتح العرب لمصر وتوقيعهم لعهد النوبة إثر هجومهم على دنقلا في عام (651-652م) تسرب العرب جماعات وأفرادا في يسر وبطء إلى بلاد البجة ومملكتي (المقرة وعلوة) المسيحيتين سعياً وراء المرعى وطلباً للتجارة، وكان توغلهم هذا عن طريقين أساسيين أولهما من مصر عن طريق نهر النيل وثانيهما من الحجاز عن طريق البحر الأحمر عن طريق موانئ باضع وعيذاب وسواكن التي كان منشؤها وازدهارها متصلاً إلى حد ما بهيمنة العرب والمسلمين على مناجم الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية أو ما عرف بأرض المعدن، واشتغالهم بنقل البضائع الهندية والحجيج بين صعيد مصر وتلك الموانئ[27].

إن المؤثرات العربية قد وجدت في الحبشة قبل الإسلام بعشرة قرون، ومنها الرواية التي تشير إلى أن عمرو بن العاص ﷺ كان في الإسكندرية قبل الإسلام في تجارة، وكيف أن القبط قد تنبأوا له بأنه سيكون حاكم مصر[28]. وهذا يدل على أن العلاقات مع إفريقيا كانت متوطدة مع جزيرة العرب سواء في اليمن أو الحجاز أو مصر.

أما بعد الإسلام فقد نالت إفريقيا نصيبها الأوفر من الاهتمام وأن دعوة الإسلام قد دخلت إفريقيا منذ السنة الخامسة للبعثة النبوية وذلك قبل أن تصل يثرب مدينة الرسول (ﷺ) [29].

وهناك من يزعم أن السودان لم يعرف العروبة إلا منذ خمسة قرون مضت أو أكثر قليلاً، أما قبل هذا التاريخ، فقد كان السودان لا يعرف إلا العناصر الزنجية والحامية وغيرها من العناصر الإفريقية، فكان أصحاب هذا

الزعم يرون أن السودان عرف العروبة والإسلام في وقت واحد تقريباً، وهذا زعم خاطئ، وقد أثبت ماكمايكل أن العروبة كانت معروفة في مناطق سودانية قبل الإسلام بعدة قرون. والدليل على ذلك أن التجارة منذ أقدم العصور كانت معروفة ومتداولة بين بلاد العرب وموانئ مصر والسودان والحبشة إذ ازدهرت بينهم تجارة الصمغ واللبان والعاج والذهب[30]. ولاحظ عدد من الباحثين أن هنالك بعض الأماكن على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر أو قريباً منه تحتفظ بأسمائها العربية الدالة على نظائر لها في بلاد العرب مثل: نجران التي كانت الاسم القديم لمملكة بلو في شرق السودان، والبلو في بعض الروايات السودانية الوطنية قوم من العرب وفدوا على السودان قبل الفتح الإسلامي. وربما كانت سوبا باسم آرامي الأصل، ومحرفاً من سبأ التي نجد لها نظيراً في جنوب بلاد العرب. وأيد الدكتور عوض فكرة قدم العروبة في السودان بقوله: من الخطأ ما يذهب إليه بعض الكتاب من أن انتشار العروبة في السودان لم يبدأ بصفة جدية إلا بعد اتمام فتح دنقلا في أوائل القرن الـ14 أي أنه يرجع إلى خمسة قرون مضت، وأصحاب هذا الرأي يتوهمون أن انتشار العروبة لا يتم إلا بعد تأسيس دولة عربية فيخلطون بين السياسة والعروبة[31].

قد حاول بعض الكتاب من غير أبناء وادي النيل أن يطعن في صحة النسب العربي لقبائل السودان زاعماً أنهم إما حاميون أو مستعربون أو زنوج مستعربون، نعم هناك عناصر حامية مثل البجة والنوبة استوطنت السودان منذ القدم وأن كثيراً من القبائل العربية قد اندمج فيها كثير من الدماء الحامية القديمة، ولكن الدماء العربية قد تغلبت على مضى القرون وسادت العروبة ثقافةً ونسباً ولحماً ودماً.

وقد جاءت هذه القبائل العربية إلى السودان منذ وقت مبكر ولأسباب عديدة منها الأسباب الاقتصادية والتجارية حيث تتوفر مقومات العيش الرغيد والاستقرار ومنها لأسباب سياسية متمثلة في الحكومات المتعاقبة التي توالت على مصر والمنطقة العربية بأشملها.

1- الأسباب الاقتصادية للهجرة:

وقد استقرت جماعات عربية وقبائل عديدة في السودان الشرقي، وذلك لأسباب عديدة بعضها سياسي وبعضها اقتصادي، فالأسباب الاقتصادية كان أهمها وجود الذهب في بلاد البجة فقد طبقت الآفاق أنباء وجود الذهب في هذه المنطقة[32]، وكتب عنها جغرافيو ومؤرخو العرب، فقد أشار إليه اليعقوبي والمسعودي والاصطخري وابن حوقل وابن الفرات والقلقشندي وابن الفقيه وغيرهم[33]، وكانت هذه الشهرة سبباً في هجرة خلق من العرب والعجم إلى تلك البلاد. إن أحداً من أولئك المؤرخين والجغرافيين لم يذكر شيئاً مفصلاً عن

كمية هذا الذهب ومقداره، كما لم يذكروا كيف كان يستخرج الذهب من تلك المعادن، ما عدا اليعقوبي الذي أوجز عملية التعدين بقوله أولئك قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر، ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر ثم يسبك، وحتى الباحثين المحدثين لم يصلوا في بحثهم عن ذهب السودان إلى حقيقة مقنعة بكمية الذهب بل اكتفوا بأن الذهب أهم مما يلفت الأنظار في السودان في العصور القديمة، وأن أهم مناطق تعدينه قديماً هي وادي العلاقي ويقال في جبل جبيت في جبال البحر الأحمر[34]، ولكنه ظل أهم وأحد الأسباب التي دفعت أجزاء كبيرة من قبائل العرب كربيعة ومضر وبلي وجهينة وبني سليم الى الاقامة في تلك الأوطان.

بالإضافة للعلاقات التجارية فقط ظل البحر الأحمر أحد طريقين مهمين يصلان الشرق بحوض البحر الأبيض المتوسط، وأنشأ المسلمون ثلاثة موانئ على ساحل البحر الأحمر السوداني هي باضع وعيذاب وسواكن أسهمت في توسيع نطاق التجارة والهجرة العربية بين شرقي البحر وغربه فالتجارة إذن بين السودان وشبه الجزيرة العربية كانت أهم سبب لهذا الاتصال لتبادل السلع بين شبه الجزيرة العربية وكل من الحبشة والسودان عن طريق موانئ هذه البلاد[35].

2- الأسباب السياسية للهجرات:

وهناك الأسباب السياسية التي تمثلت في الاضطهاد والقسوة في التعامل مع الرعية، بالإضافة إلى نتائج الحملات الحربية التي قادها المسلمون على بلاد النوبة والبجة، وغيرها من الهجرات السلمية إلى تلك المناطق، وجاء في اليعقوبي قوله: «.. ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم معدن تبر ثلاث مراحل، وبرحم قوم من بلي وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس يقصدون للتجارات ... وإلى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان، إلى معدن يقال له ميزاب تنزله بلى وجهينة أربع مراحل[36]». كما تحدث اليعقوبي عن العرب الذين سكنوا وادي العلاقي من غير بلي وجهينة، «ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس، وأكثر من بالعلاقي قدم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية». وجاء المسعودي وأيد قول اليعقوبي بوجود جماعات عربية ساكنت البجة في معادن الذهب وأضاف أن المصاهرة التي تمت بين الفريقين أدت إلى أن يتقوى كل منهما بالآخر على خصمه، «وسكن جماعة من المسلمين معدن، الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة وتزوجوا من البجة واشتدت شوكتهم، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر[37].واللغة المصرية القديمة قد انطبعت بالطابع السامي في زمن قديم جداً، وهذا الطابع كان مصدره الجزيرة العربية، ونتيجة

لهجرات قديمة إلى وادي النيل، وليس من السهل أن تقرر تاريخ هذه الهجرات ولكنها قديمة لأن أقدم النصوص المصرية كانت مطبوعة بذلك الطابع السامي، وانتقال القبائل من شمال الجزيرة العربية إلى شبه جزيرة سيناء في الصحراء الشرقية كان أمراً مألوفاً في جميع العصور قبل الإسلام وبعده، ومن المعروف تاريخياً أن عرب اليمن قد هاجروا إلى هضبة الحبشة ونشروا فيها الثقافة العربية في وقت يرجع على الأقل للقرن العاشر ق.م، وقد وصل هذا التأثير هذه الحدود كما يؤكد أن السودان عرف الجنس العربي قبل ظهور الدعوة الإسلامية بعدة قرون، ومعنى هذا أن الثقافة العربية الجاهلية قد عرفها السودان قبل أن يعرف الثقافة العربية الإسلامية ونقصد بذلك ما حمله العرب من عادات وعبادات جاهلية قديمة، كما حملت معها اللهجات العربية التي كانت تتكلمها القبائل التي هاجرت إلى السودان[38].ولم يحاول هؤلاء العرب أن يقوموا بعمل جماعي مباشر يهدف إلى نشر الدين الإسلامي بين السكان، بل اكتفوا بمساكنة السكان الأصليين كل على دينه إلى أن انتشر بينهم بالتدرج بعد المعايشة والمصاهرة والاختلاط[39].

اشتملت الجماعات العربية التي هاجرت إلى حوض النيل الأوسط على المجموعتين العربيتين[40]، وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين ويمثل العدنانيين الكواهلة والمجموعة الجعلية والرشايدة، ويمثل القحطانيين المجموعة الجهينية[41]، وأول إشارة إلى بني كاهل وردت في رحلة ابن بطوطة إلى عيذاب وسواكن في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي 1353-م ويسكن بني كاهل هذه المنطقة وهم مختلطون بالبجة عارفون بلسانهم[42].

ويقال إن الكواهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة وجاءوا من جزيرة العرب مباشرةً عبر البحر الأحمر، واختلط أولاد كاهل بالبجة عن طريق المصاهرة ونالوا مركز الزعامة وهم البشاريون والأمرأر والبنو عامر مما يؤكد أن بني كاهل كان لهم أكبر الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية فيهم، وكان انتشارهم تدريجياً على ثلاث مراحل، الأولى هي نزولهم في الساحل واستقرارهم فيه في القرن الثالث عشر الميلادي واختلاطهم بالبجة كما رآهم ابن بطوطة في القرن الرابع عشر والمرحلة الثانية انتقال شعب منهم إلى جهات أتبرا والنيل الأزرق في القرن الخامس عشر الميلادي، والمرحلة الثالثة انتقال جماعات منهم آتية من الشرق إلى جهات النيل الأبيض ثم إلى كردفان في أزمان متعاقبة[43]. ويذكر ابن بطوطة (701-778هـ) (1302-1377م) أنه عندما وصل إلى جزيرة سواكن وجدها تحت حكم شريف مكي آلت إليه من قبل البجة أخواله، وكان لدى هذا الشريف جيش مؤلف من البجة وأولاد كاهل وعرب جهينة[44]، ويدل

النص على وصول عدد غير يسير من عرب الحجاز لمواطن البجة قبل زمن ابن بطوطة بوقت طويل، حتى أنه عندما وصل سواكن في القرن الرابع عشر الميلادي وجد ابن الأخت –وهو الشريف المكي – يحكم، ووجد أولاد كاهل عارفين بلسان البجة[45]، فلا بد – إذن – قبل الوصول إلى هذه الحال أن يكون العرب قد استقروا أمداً غير قصير تم خلاله تعلم اللسان البجاوي، وتمت خلاله مصاهرة القبائل العربية وتوالدها، ونمو ولد البنت البجاوية حتى يبلغ من الكبر ما يمكنه من ممارسة سلطات حاكم مدينة سواكن، والهيمنة على جيش خليط من العرب والبجة.

دور التجار والعلماء في نشر الإسلام:

أولاً: التجار:-

ترجع العلاقة التاريخية الاقتصادية بين العرب وشرق إفريقيا إلى عدة قرون قبل الميلاد، وكان لملكتي سبأ ومعين دور كبير في التجارة بين منطقتي شبه الجزيرة وشرق إفريقيا، وكانت لكل منهم سفن تجارية تعمل بين الساحلين، وفي الألف الأخير قبل الميلاد صارت الملاحة أمراً معروفاً من البحر الأحمر إلى السواحل الإفريقية والهند، واستقرت كثير من القبائل العربية اليمنية في هضبة الحبشة وأشهرها قبيلة حبشت التي سميت الحبشة باسمها، ثم انتشروا في إقليم أكسوم وبسطوا حضارتهم وتمكنوا بنفوذهم الاقتصادي من بسط سلطانهم على البلاد[46]. ولما كانت التجارة هي الحياة في بعث حركة العمل وذلك من خلال نقل حاصلات أهل النيل وروافده وسنار عن طريق سواكن أو درب الأربعين[47]. ولعل التجارة كانت أهم وسيلة اتصال إذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب من الجزيرة العربية وبين موانئ مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى، واتخذ التجار العرب من الساحل الإفريقي مراكز لهم، يوغلون فيها بسلعهم وبضائعهم في قلب القارة الإفريقية حتى وادي النيل على الأقل[48]، ونشطت حركة التجار العرب خاصة زمن البطالمة والرومان ولا شك أن عدداً غير قليل من هؤلاء استقروا في أجزاء مختلفة من حوض النيل ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم في القرنين السابقين للميلاد وعبر عدد كثير من الحميريين أهل اليمن مضيق باب المندب واستقر بعضهم في الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متبعاً النيل الأزرق ونهر عطبرة ليصلوا إلى بلاد النوبة[49]. وتعتبر التجارة من أهم الأسباب التي دفعت العرب للوصول إلى منطقة الساحل الغربي للبحر الأحمر ومنطقة البجة سواء قبل الإسلام أو بعده، وكان لهذا المنشط أثر واضح في نشر العروبة والإسلام في أراضي البجة والمتتبع لحركة انتشار الإسلام عامة يدرك أن هذا الدين سهل

الاعتناق لعدم ارتباطه بشخصيات معينة، فكل مسلم يمكنه أن يقدم الإسلام لغير المسلمين، ومن الشرائح التي كان لها دور في انتشار الإسلام التجار، ونتيجة لوجود هؤلاء التجار في الساحل الغربي والمناطق الداخلية انتشر الإسلام(50). وساعد زواج التجار العرب من نساء البجة والإقامة بينهم على تأثر البجة بالإسلام والثقافة العربية، كذلك ما قام به تجار الكارم «التوابل» من دور في هذا المجال فقد تمتع هؤلاء التجار بأخلاق فاضلة وتقوى زائدة لا بد أن تترك أثرها الإسلامي على هؤلاء السكان(51). وقد برع العرب في التجارة قبل الإسلام بأمد بعيد حتى قيل إن كل عربي تاجر، وكانت بلاد اليمن ملتقى الرحلات البحرية والتجارية التي تأتي من الهند وأندونيسيا والصين – حيث تلتقي بالرحلات البحرية وقوافل الجمال التي تسير بين اليمن والشام وبلاد الشمال(52). وأنشأ التجار العرب طرقاً لقوافلهم بعيدة عن الشاطئ لكي يسهلوا أمور تجارتهم، وبنوا مخازن داخل البلاد، وكانت القوافل تأتي من مصر والشمال الإفريقي والجزيرة العربية في مواسم مختلفة كوسيلة لنقل ما تحتاج إليه إفريقيا من هذه البضائع، وتعود محملة بالبضائع الإفريقية الرائجة في أسواق المغرب والمشرق العربي(53).

إن حركة التجارة النشطة على ساحل البحر الأحمر وقرب مكة والمدينة ساهمت في نشر الثقافة العربية والإسلامية على هذا الشاطئ، وهذا تكشفه مباني سواكن وحفريات عيذاب، أما كلما بعدنا عن الشاطئ وتجاوزنا تلال البحر الأحمر والقبائل البجاوية والعرب الذين نزحوا من الشمال نجد فرقاً كبيراً في الجو الثقافي والحضاري، لبعد هذه القبائل عن حركة العالم والشعوب، وبعدها عن منبر الدعوة ونشاط المسلمين، لذا يمكن أن نقول إن عيذاب وسواكن وشاطئ البحر الأحمر، والعرب الذين يشاركون في التجارة والعمل بالشاطئ ولاتصالهم بحركة التجارة والحجاج فقد أوجدوا ثقافة عربية إسلامية، وكانت مركزاً لنقل الثقافة العربية والإسلامية لداخل السودان عن طريق القوافل التجارية ومواسم الحج(54).

فالقوافل التجارية التي تسير بين وسط السودان والشرق والشمال والغرب كانت مستمرة منذ القدم، وكانت هي الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافة والحضارات الأجنبية. وبعض التجار جمع بين التجارة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام انشأوا مدارس لتعليم القرآن أو أنشأوا مسجداً، وقاموا في نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي، إن حرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع، فاحتكاكهم المباشر بالسكان يجعلهم يؤثرون فيهم، وغالباً ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول كثير

من هؤلاء السكان في الإسلام، بالإضافة إلى موقف الإسلام من الرق وتيسير المواصلات ساعد على ترويج التجارة، ومكن التجار المسلمين من أن يبسطوا تأثيرهم في مناطق لم تطأها الأقدام من قبل[55].وتقدمت الحضارة وازدهرت في الدولة الإسلامية تحت حكم الدولتين الأموية والعباسية اللتين ألحتا في طلب مختلف الأشياء التي تنقصهم والتي تتوافر فيما يحيط بهم من بلاد إفريقيا، فنشطت الحركة التجارية ونشطت المراكز التجارية، وازدحمت بالعرب النازلين فيها والذين توغلوا في الداخل في طلب مواد التجارة، ولما ضعفت الدولة الإسلامية وانقسمت إلى عدد من الدويلات تحكمها بيوت مالكة، نشطت الحركة التجارية نشاطاً قوياً لتسد مطالب هذه البيوت المالكة وكلهم أسرف في الترف والنعيم وكل هذه الأسباب المختلفة كانت عاملاً من عوامل نشاط التجارة ومن ثم انتشار الإسلام في هذه المناطق وظهور الممالك والولايات الإسلامية[56].وقد أشار نشاط هؤلاء التجار في العهد الفاطمي خاصةً في عهد الخليفة المستنصر، وذلك بسبب توقف اليهود عن مزاولة التجارة في التوابل، فانفرد المسلمون بتجارة التوابل وسموا هؤلاء التجار بالكارمية[57]، واهتمت الدولة الفاطمية بهذه التجارة لدعم اقتصادها الداخلي[58]، وقامت الدولة الفاطمية بحمايتهم وكان لها أسطول في عيذاب لحماية الكارمية بين عيذاب وسواكن من قراصنة كانوا بجزائر البحر الأحمر يعترضون المراكب.

وسارت الدولة الأيوبية على نفس نهج الدولة الفاطمية في حماية تجارة البحر الأحمر والاهتمام بهم وتشجيعهم وعمل المماليك أيضاً على حماية التجارة الكارمية وكانت كثير من المشاكل تعرض على السلاطين[59]، ومن ذلك أن تجار الكارم تقدموا بشكوى في صاحب سواكن وصاحب دهلك بأنهما يتعرضان لأموال من يموت من التجار في بلادهم، فأرسل السلطان بيبرس رسولاً ينكر عليهما ذلك في عام662هـ1263-م .

كانت التجارة من أهم الأسباب التي ساعدت على نشر الإسلام في السودان فقد كانت إمارة أسوان مركزاً تجارياً تهماً بين العرب والنوبة ففيه تجارة مصر وبضائع السودان وبضائع العرب، فمن السودان كانت الماشية وريش النعام والعبيد والصمغ والذرة والذهب والعاج والبلح، ومن الشمال كانت المنسوجات وبضائع السلع، ومما ساعد على تكاثر العرب ظهور تبر الذهب في أرض المعدن ووادي العلاقي شرق أسوان، وكانت هذه المناجم التي يخرج منها تبر الذهب ملكاً لرؤساء القبائل البجاوية فكان وادي العلاقي هو بداية زحف الهجرات العربية إلى الشرق وإلى الجنوب وكان هذا في القرن التاسع الميلادي[60]. وازدهار ميناء عيذاب في القرن الخامس الهجري من عوامل

ازدهارها الحداربة، فقد كان أميرهم ينال حظاً من مكوس هذا الميناء، وساعد وجود هؤلاء الحدارية على اختلاطهم بالبجة[61]، وكذلك الإشارة إلى امتداد نفوذ بني هلال ما بين صعيد مصر وعيذاب في القرن الثاني عشر الميلادي ربما يعني ممارستهم للتجارة في هذه المنطقة وعلاقتهم بميناء عيذاب مما يدل على الوجود العربي وتأثر السكان بهم[62].

أما ميناء سواكن ودوره في نشر العروبة والإسلام فقد يشهد وصول جماعات عربية منهم آل أبي قصير باليمن وهم من ذرية محمد بن الحنفية وقد اشتغلوا بالتجارة وتزوجوا في مصوع وسواكن وأخيراً استقروا بالأخيرة مما ترك أثره على السكان، وقد تولى إمارة سواكن خاصةً ما يعرف باسم الشريف علم الدين جد العلمنوياب وقد ترك هؤلاء أثرهم بإدعاء بعض قبائل البجة الانتماء إليهم باعتبارهم أشرافاً[63]. كل ذلك يؤكد أن النشاط التجاري ساهم كثيراً في انتشار الإسلام واللغة العربية وثقافتها وكان للموانئ الدور الكبير لأنها تمثل عصب التجارة وارتبط انتشار الإسلام بالاختلاط والتبادل التجاري أكثر من غيره من الوسائل ورغم أن هذه المنطقة تشتهر بالتجارة منذ عهد البطالمة والرومان والعرب قبل الإسلام لكن ممارسة العرب والمسلمين للتجارة بعد الإسلام كان لها أكبر الأثر في انتشار الإسلام بين البجة.

الأطفال منهم يجيئون من دار فتيت، ومن دارفور، ويتجنبون المرور في بلاد النوبة، لأن القبائل النوبية كانت تقاوم هذه التجارة[64].

كان العرب يتقدمون في سهول السودان ويتكاثر عددهم، ويذهبون إلى النيل في موسم الجفاف للتزود من مياهه وحشائشه وهذه الزيارة كانت تفرضها عليهم ظروف الطبيعة نفسها، فهم مضطرون للبحث عن قوت ومياه لماشيتهم، واقترابهم من النيل كان لفائدة سكان النيل، فقد كانوا يبيعونهم الماشية ومنتجاتها مقابل الذرة والبلح، وكان سكان النيل يرحبون بهذه الزيارات التجارية فهم لا يستطيعون أن يستهلكوا إنتاجهم من البلح لذلك كان لا بد لهم من سوق لهذا البلح إما عن طريق التجارة مع أسوان أو مقابل الضرائب، وحينما سهل عليهم هؤلاء العرب شراء الفائض من محصولهم من البلح والذرة أصبحوا يرحبون بمقدمهم وتوسعوا في زراعة هذه المحاصيل وخلال هذا التبادل التجاري ألفوا العرب، وحدث التزاوج والاندماج بين السكان المحليين والعرب الوافدين فأسلم بعضهم، وأقام بعض منهم على النيل[65]، وبمرور الأيام انتشر الإسلام على النيل متأثرين بهؤلاء العرب، مما يعني أن التجارة والمصالح الاقتصادية المتبادلة بين المهاجرين والسكان المحليين كانت أكبر الأثر في انتشار الإسلام في وادي النيل.

ثانيا: دور العلماء:-

لقد ارتبط تقدم الأمم والشعوب وازدهار الحضارات بالعلم والتعلم، لذلك حث الإسلام على ضرورة طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم وذلك لأهميته للفرد والمجتمع ومنها تعلم العلوم الدينية التي تعين المسلم على أداء واجبه، وتنظم شؤون حياته، لذلك اهتم المسلمون في كافة الأقطار بدراسة القرآن الكريم والعلوم الدينية[66]. والسودان كقطر إسلامي اهتم أهله بتعلم القرآن وعلومه وأنشأوا المساجد والخلاوي لذلك الغرض فظهر ذلك في سلوك الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية وذلك لتطبيق التعاليم الإسلامية[67].

ويربط بعض المؤرخين بدء التعليم الديني وانتشار الثقافة الإسلامية في السودان بقيام دولة الفونج ((الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر ولم تشتهر بدراسة علم ولا قرآن حتى جاء الشيخ العركي من مصر وعلم الناس[68]، وهناك كثير من الوثائق والروايات التي تؤكد أن هناك علماء كثر عملوا على تعليم الناس القرآن والفقه ومن هؤلاء الشيخ الإدريسي ود الأرباب الذي ولد في عام 913م وكان يقرأ القرآن عند الشيخ البغدادي الذي قدم من الشام وأقام بحلفاية الملوك. وهذا يعني وجود تعليم ديني قبل القرن السادس عشر الذي شهد قيام دولة الفونج))[69]. وقد يكون هذا التعليم وليداً فتطور وأتى بثماره عند قيام الفونج ولم ينظم العرب الذين انتشروا في مملكة المقرة أو أراضي البجة حملات تبشيرية إسلامية وإنما اكتفوا بمساكنة السكان الأصليين كل على دينه وانتشر الإسلام تدريجياً بين سكان البلاد الأصليين باختلاطهم مع العرب ومصاهرتهم لهم. كما نجد أن إسلام السودان وتعريبه لم يتم على أيدي العرب الوافدين وإنما كان على أيدي هؤلاء المستعربين[70].

كان في مقدمة رواد الثقافة الإسلامية الدعاة الذين أسهموا مساهمة فعالة في نشر الإسلام وقد تأثر دعاة الإسلام بالدعوة الشيعية في الدولة الفاطمية، ولا يستبعد دخول بعض الفرق كالفاطميين السودان لنشر الدعوة الفاطمية[71].

وساعد انتشار الإسلام على رحيل الدعاة والعلماء إليهم لتعليمهم مبادئ الدين والشريعة[72]، ومنهم غلام الدين بن عائد الذي قدم من بلاد اليمن وأقام في دنقلا في القرن الرابع عشر الميلادي فلم يجد بها أي مظهر من مظاهر التعليم أو حركة علمية فعمر المساجد وقرأ فيها القرآن، وعلم العلوم الشرعية لأبناء المسلمين، واستمر بها حتى وفاته ودفن بها[73]، وكان قدوم هذا العالم استهلالاً لحركة علمية، ومحاولة لتثبيت الإسلام في صدور

من دخلوا فيه بالعلم والتفقه في الدين، وكان سبباً في بناء مساجد للعبادة والتدريس في بلاد النوبة وظهر من بعد الشيخ صغيرون الذي كان يدرس الفقه في مسجد دنقلا ثم انتقل إلى بلدة القور وبنى له مسجداً بها، وشدت إليه الرحال من سائر بلاد السودان للتعلم عليه، وتعلم على يديه العديد من الشيوخ الذين برزوا بعد ذلك في الحياة العلمية ببلاد السودان[74].ولعل دخول العلماء إلى السودان يرجع إلى الفترة السابقة لظهور الممالك الإسلامية حيث تذكر الأخبار أن أول عالم دخل البلاد هو الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائد اليمني، والذي قدم إلى دنقلا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أن ندرة الوثائق والكتابات التاريخية تجعل من الصعب تتبع أخبار هؤلاء العلماء ونشاطهم[75].

إن انتشار الدعوة قبل قيام مملكة الفونج كان صورياً، فقد اهتم الرواد الأوائل من المسلمين، وجلهم من التجار البدو، وهم ممن تنقصهم المعرفة الدقيقة بالفقه الإسلامي في استمالة المسيحيين والوثنيين إلى الإسلام وركزوا على المبادئ العامة دون التفاصيل، وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء، ولكن جهودهم ظلت محدودة، فقد قرر غلام الله بن عائد اليمني الذي قدم من اليمن في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي قرر البقاء في دنقلا مساهمةً منه في نشر تعاليم الإسلام الحقة إذ هاله ما رأى بأهلها من جهل وحيرة لانعدام العلماء والقراء، فلما حل بها عمر المساجد وأنشأ المدارس وأخذ يعلم القرآن لأولاده وأبناء المسلمين وشهد القرن الخامس عشر الميلادي مجيء الشيخ حمد أبو دنانة صهر الشيخ عبد الله بن محمد الجزولي الشاذلي، وكان استقراره بالمحمية ولعله أول من نشر الطريقة الشاذلية في السودان[76]. ومن الدعاة الأوائل الذين عملوا على نشر التعاليم الإسلامية في سودان وادي النيل الشيخين البنداري وحمد بن زروق اللذان ظهرا قبل قيام الفونج فقد كان للشيخ البغدادي مكتب بالقرب من الحلفايا، وللشيخ حمد بن زروق مدرسة في الصبابي، ومن تلاميذ الشيخ حمد الشيخ إدريس ود الأرباب[77]، وهؤلاء كان لهم دور كبير في نشر تعاليم الإسلام. وقد أثمرت الدعوة في خلق جيل من العلماء ظهر مع بداية عصر الفونج إذ يشير ود ضيف الله إلى أن إبراهيم البولاد بن جابر دخل إلى مصر وتفقه بسيدي الشيخ محمد «البنوفري» وأخذ عليه الفقه والنحو والأصول. ويفيض كتاب الطبقات في ذكر مؤلفات وشروح تدل على أن هناك فئة كبيرة من العلماء كانت على دراية تامة بأصول الدعوة والعقيدة الصحيحة[78].

تركز التعليم الديني في المساجد والخلاوي على يد الشيوخ والفقهاء الذين وفدوا

من الدول المجاورة أو بتعليم السودانيين خارج بلادهم، ثم يعودون معلمين للقرآن ولنشر الثقافة الإسلامية لذلك كان للأقطار الخارجية أثر ملموس في الثقافة الإسلامية السودانية كاليمن ومصر والحجاز والعراق والمغرب. ومن تأثير اليمن كما أسلفنا قدوم العالم غلام الله بن عائد الذي استقر في دنقلا فأنشأ المساجد لتعليمهم القراءة ومبادئ الدين كالعقيدة والفقه، بل ذهبت بعض الروايات على إسلام بعض المسيحيين على يده[79]، فقد نشأ في بيئة دينية علمية عريقة، وتنقل أحفاده أولاد جابر وأنشأوا مراكز دينية في كثير من بلاد السودان كمسجدي دنقلا وكورتي، كما قدم من اليمن علماء آخرون كأمثال حمد بن زروق الذي سكن الصبابي وأنشأ بها خلوة لتدريس القرآن الكريم وكانت مساهمة مصر في أن العلماء السودانيين يدرسون بالأزهر ثم يعودون لتأسيس مدارس القرآن كأمثال محمود العركي وإبراهيم بن جابر ولما تناقلت الأخبار عن كرم السودانيين ورعايتهم للعلماء فقد وفد إلى السودان الشيخ محمد القناوي الذي استقر في بربر وبنى مسجداً بها وكذلك محمد بن علي قدم من مصر ودرس الفقه والميراث في بربر وغيرهما من العلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام وعلومه. والحجاز لها أثر بارز في نشر الثقافة الإسلامية في السودان فقوافل الحجاج والتجارة بين الحجاز والسودان كان لها أكبر الأثر في نشر الإسلام في بلاد السودان إذ كان الحجاج يصحبون معهم الفقهاء من مكة ويشجعونهم على الرحيل إلى بلادهم فأنشأوا الخلاوي والزوايا وكان لعلاقة السودانيين بالحجاز أثر كبير في انتشار المذهب المالكي فقد تتلمذ معظم السودانيين على يد علماء المذهب المالكي.أما العراق فقد قدم منها تاج الدين البهاري الذي علمهم القرآن ومبادئ الطريقة القادرية التي انتشرت على نطاق واسع في السودان وظهرت الطرق الصوفية الأخرى[80].

وعرف المجتمع السوداني بميله للتدين والسمو الروحي منذ القدم، فقد أثبتت جميع الدراسات التاريخية أن السودان قد اتسم بالولاء والطاعة والتقديس للمعبود سواء أكان وثناً أم إلهاً أو غيره وذلك حتى أوائل القرن الثاني الهجري الذي ازدهرت فيه النزعة الروحية بفضل عوامل كثيرة[81]، فأصبحت مدرسة يعول عليها في بناء المجتمع.

كما كان للخلوة دوراً بارزاً في ظهور الاتجاه الصوفي في السودان، فكان شيخ الخلوة قدوة في سلوكه وأخلاقه لذلك يتأثر به طلاب الخلوة، كما احتوى المنهج في الخلوة على تعليم التوحيد والتصوف فأدى إلى اعتكاف الافراد وتطهير أنفسهم والارتقاء بهم إلى الكمال والرفعة، وسلك كثير من الفقهاء الطرق الصوفية فامتزج الفقه بالتصوف وتنوعت الطرق الصوفية في منهجها وسلوكها مما أدى إلى تطورها وانتشارها واستيعاب أعداد كبيرة منها. وكان حمد بن محمد المجذوب شيخ الطريقة المجذوبية يتدرج بالأفراد من مرحلة القراءة والكتابة إلى مرحلة مدونات المذهب المالكي إلى أن ارسى سفينة العلم على شاطئ الفكر الصوفي ولا بد أن نشير إلى أن مجهودات العلماء كانت فردية

ولم تتنظم الطرق الصوفية بصورة واسعة في السودان الا في عصر الفونج [82]. ويقتضي الحديث عن الوضع الصوفي في السودان والإشارة إلى دور الأسر والبيوتات الدينية في تكوين السودان الثقافي بشقيه العلمي والصوفي، فقد ارتكز انتشار التصوف في السودان إلى حد كبير على جهود الأسر ونفوذها التي استمدتها من انتمائها إلى البيت النبوي والأصل العربي، ودورها في تأسيس المؤسسات الدينية من خلاوي وزوايا ومساجد ومعاهد علم، ولذلك كان مجرد الانتماء إلى واحدة من هذه الأسر كافياً لذيوع اسم صاحبه صوفياً كان أو فقيهاً وبالتالي انتشار ما يدعو إليه من تعاليم، وقد نشطت هذه الأسر في تأسيس خلاوي لحفظ القرآن وتعاليم الدين والمساجد لتدريس العلم والدين، كما قاموا بتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وقاموا بأدوار مهمة في نشر العلم الديني[83].

ومن أشهر الأسر التي ساهمت في نشر الإسلام والتعليم الديني أولاد جابر وهم أحفاد غلام الله بن عائد الذين واصلوا ما بدأه جدهم واكتسبوا الشهرة والمركز الاجتماعي والثراء والجاه، وطوروا أساليب التدريس في الحلقات، وبمجهودهم انتشر الفقه المالكي وتعددت حلقات الدروس في مناطق مختلفة[84]. ولم تسهم المساهمة الإيجابية لعائلة غلام الله بن عائد في تأييد ونشر الدعوة الإسلامية بصورة كاملة بين القبائل النيلية إلا في الجيل الرابع بميلاد أولاد جابر الأربعة الذين نالوا شهرة تاريخية عظيمة، فقد تفقه ثلاثة منهم – على الأقل – في الأزهر على المذهب المالكي البنوفري، وكان أحدهم قد أسس مدرسة بأرض الشايقية 1570م لتدريس المذهب المالكي واستمروا في التدريس حتى حمل الرسالة بينهم ابن أخيهم الشيخ صغيرون وبهذا اكتسبت عائلة غلام الله بن عائد شهرة دينية ومركزاً اجتماعياً مرموقاً[85].وكان الدعاة المسلمون يبذلون جهدهم في محاولة نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن نشر الإسلام في إفريقيا كان يتم على أيدي الإفريقيين أنفسهم، والحاميين منهم بوجه خاص، كما أن ممالك السودان الأوسط قد أسسها بعض الفقهاء الحاميين المتبحرين في العلوم الإسلامية الذين جاءوا إلى هذه البلاد للتجارة وبذلك كان الإسلام إفريقياً في إفريقيا[86]. ويؤكد ذلك المقريزي نقلًا عن ابن سليم الأسواني «مؤرخ النوبة» أنه كان هناك سياسة إسلامية مرسومة لنشر الإسلام بين الشعوب الوثنية في القرن الخامس عشر الميلادي فقد التقى ابن سليم في بلاط مُقَّرة بأحد الوثنيين في النوبة، وقد سأله عن دينه فقال ربي وربك الله، ورب الملك ورب الناس كلهم واحد، وهو في السماء وحده وقال له إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء، أو وقع بدوابهم آفة، صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضي حاجتهم قبل أن ينزلوا، فلما أقر الرجل

أن الله لم يرسل قط رسولاً فيهم، ذكر لهم ابن سليم بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وما أيدوا به من المعجزات فقال: «إذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا، وقد صدقتهم إن كانوا فعلوا»[87].

«كانت بعض الفئات من العناصر النوبية لها مشاركات إيجابية في الحياة الإسلامية العربية في مصر قبل أن ينتشر الإسلام في بلادهم، كما أن بعضهم اشتغل بالعلوم الدينية والفقهية مثل يزيد بن أبي حبيب النوبي الأصل، ويزيد كان من سبي النوبة الذين أسرهم العرب ونشأ نشأةً إسلامية عربية وقد أفادت يزيد صلته بعدد من الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا فتح مصر وتابعيهم، وتتلمذ على يديه عدد من التلاميذ الذين أصبحوا من أشهر فقهاء مصر الأوائل منهم الليث بن سهل وعبد الله بن لهيعة.

ومن سلك طريق التصوف ذو النون المصري وأصله من النوبة، نشأ في مصر في القرن الثاني الهجري، وتلقى الموطأ عن بعض أصحاب مالك ابن أنس حين خرج إلى الحجاز حاجاً ولما عاد إلى مصر مال ذو النون إلى حياة الزهد والتصوف، وقد أشبع هذه النزعة عن طريق الرحلة إلى المناطق النائية في صحاري الشام والعراق والمغرب وأوطان البجة إلى أن توفى في 246هـ، وكان لهؤلاء العلماء أثر واضح في نشر الإسلام والعروبة في بلاد النوبة حين عودتهم من مصر إلى أهلهم[88].

«كانت المرحلة الثانية لنشر الإسلام في السودان حوالي القرن الخامس عشر عندما كان السودان يتجه إلى تحول سياسي وديني نتيجة لغلبة العنصر العربي والانتعاش في الحركة التجارية ونتج عن ذلك قيام ممالك إسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي الأمر الذي ساعد على بث الثقافة الإسلامية بطريقة أعمق وأشمل مما ألفته البلاد من قبل»[89].

بالإضافة للقبائل العربية والمجموعات الكبيرة هناك جماعات صغيرة أو أفراد من العرب أو المستعربين كان لهم فضل نشر الثقافة الإسلامية والعربية في ربوع السودان، وهم بقايا الجيوش المحاربة، والهاربين من الضغط السياسي والدعاة والتجار والحجاج[90].ومما تقدم ندرك أن انتشار الإسلام في السودان قد تم عن طريق تضافر عوامل عديدة أولها الطرق التي يسرت قدوم العرب، والقبائل العربية التي وفدت على هذه البلاد وجهود التجار والعلماء، مما يؤكد تغلغل الاسلام في السودان ولكن بصورة بطيئة وتدريجية.

انتشار الإسلام في منطقتي البجة وعلوة:

أولا: دخول الإسلام إلى البجة:

أما عن دخول الإسلام إلى البجة فقد مر بنفس مراحل دخول الإسلام إلى النوبة إذ ما لبثت أن أتاحت المعاهدات الاتصال بين العرب وأهل البجة.

البجة هو الاسم الذي أطلقه الكتاب العرب[91] على مجموعة القبائل البدوية الحامية التي تعيش في المنطقة الشرقية بين النيل وعطبرة والبحر الأحمر وقد أشار سلجمان بأن هناك تشابه جسمانياً واضحاً بين البجة اليوم والمجموعة المصرية لما قبل الأسرات وهناك بعض الدم العربي إذ إن ربيعة استقرت بينهم منذ القرن التاسع الميلادي ولكنها لم تغير من صفاتهم الجسمانية والاجتماعية.

أما الجبهة الشرقية فهي قبائل بدوية متعددة متشاكسة، فلو كان هناك ملك يحكم هذه القبائل لأمكن إخضاعه بالقوة لما للمسلمين من قوة وبذلك يمكن إخضاع جميع القبائل، ولكن الأمر هنا أصعب فمهمة الدولة الإسلامية ليست سهلة فعليها إخضاع هذه القبائل الواحدة تلو الأخرى، وهناك عنصر آخر هو اللغة فهي لا تتحدث اللغة العربية مما يجعل التفاهم معهم أمراً صعباً وتعليم الإسلام أصعب، كما أن ديانة هذه القبائل وثنية لا يعبدون إلهاً وبالتالي لا يسهل توصيل الإسلام لهؤلاء القوم[92].وكان البجة أهل شوكة وعصبية في إقليم البحر الأحمر في شرق السودان، وتخضع قبائلهم العديدة لزعماء مستقلين وكانوا يعيشون في البوادي والجبال، ولهم مدنهم العديدة هجر وسنكات، وقد ظهر في بلادهم معدن الذهب والزمرد مما جذب العرب سواء من شبه الجزيرة أو من صعيد مصر للهجرة والتعدين في تلك البلاد، ومن أهم مناطق استقرار العرب وادي العلاقي، أما على الساحل فقد ازدهرت عيذاب التي كانت تصدر المعدن وتمر عبرها البضائع الهندية وغيرها إلى داخل السودان ثم تحولت في زمن متأخر لنقل الحجيج من مصر إلى الحجاز والعكس عندما قطع الصليبيون طريق سيناء الشمالي، وكانت هذه الموانئ تخدم كلاً من أرض البجة وبلاد النوبة.

أدت كثافة وجود القبائل العربية من مصر وربيعة وقبائل اليمن إلى الاحتكاك مع البجة وامتد الاحتكاك إلى مدن صعيد مصر التي أخذت بعض جماعات البجة في الإغارة عليها. وكانت الدولة العباسية تستفيد مباشرةً عن طريق الضرائب من الذهب والزمرد المستخرج من أرض البجة، كما تستجيب لنداءات الولاة والأهالي في مصر فترسل الحملات لقمع البجة وازدادت الاشتباكات بين البجة والمسلمين منذ مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ـ[93].

إن التسرب العربي جنوبي مصر لم يشمل النوبة فقط وإنما شمل البجة، وأن انتقال العرب باستمرار بين النوبة والبجة كان مألوفاً في العصور الوسطى ويختلف عقد ملك البجة جكنون بن عبد العزيز مع عبد الله بن الجهم كثيراً عن معاهدة البقط التي عقدها عبد الله بن أبي السرح مع ملك النوبة قاليدروث، وموضع الأهمية هنا أن البجة أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية ويطبق عليها شروط البلاد التي تفتح عنوة بدليل فرض الخراج بالإضافة إلى شرط عدم أذى المسلمين سواءً في البجة أو النوبة وشرط حفظ المساجد القائمة وجمع صدقات من أسلم دليل على دخول الإسلام في هذه البلاد وإقامة المسلمين فيها.

فهناك جماعات عربية خاصة من بني جهينة نزحت للتجارة عقب الفتح الإسلامي لمصر ونشر أفرادها الإسلام بين قبائل البجة ولعل هذا هو السبب في أن عبد الله بن أبي السرح سامحهم ولم يحاربهم. كما أن البحر الأحمر كان هو الشريان الطبيعي للهجرات العربية قبيل وبعد الإسلام، كما أن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجة منتصف القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي هرباً من مذابح العباسيين[94].

وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي السرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة «البجاة» فسأل عن شأنهم، فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون إليه، فهان عليه أمرهم، فنفذ وتركهم، فلم يكن لهم عقد ولا صلاح، وكان أول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولي في أواخر القرن الأول الهجري وكان البجة يقيمون على مقربة من عيذاب على البحر الأحمر، كما انتشروا في بلاد النوبة وغيرها ولاسيما بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين دنقلا وأسوان. وبهذا يكون العرب قد اتصلوا بالنوبة والبجة اتصال تعاهد ومرور وانتقال، وأن بلاد السودان قد عرفت اللاجئين السياسيين من العرب، كبني أمية الذين فروا من وجه العباسيين إلى بلاد النوبة أو إلى شرق السودان، واستقروا في أرض الجزيرة. ويبدو أن العرب اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالبجة في القرن الثامن الميلادي عن طريق البحر الأحمر وعن طريق وادي النيل، ويظهر أن جماعة من العرب المسلمين كانوا أول من استقر هناك، وبنوا مساجد لهم، مما مهد أول الأمر للعرب سبيل الاختلاط بالبجة في شرق السودان وكانت من العوامل التي ساعدت على تعريب هذه المنطقة[95].

وأول غارة قام بها البجة على صعيد مصر في سنة 720م والظاهر أن المسلمين ردوا هذا الهجوم، وصالحهم ابن الحبحاب بعهد يدفع البجة بموجبه ثلاثمائة من الإبل الصغيرة، وأن يجتازوا الريف تجاراً غير مقيمين وأن لا يقتلوا

مسلماً أو ذمياً ولا يؤوا عبيد المسلمين، ويظل وكيلهم في الريف رهينة في يد المسلمين، وهذا العهد ضمن للمسلمين تأمين حدودهم على الصحراء وفي الوقت نفسه ترك العلاقات التجارية حرة كما كانت من قبل، وظلت العلاقات ودية حتى عهد المأمون العباسي حيث جدد البجة غاراتهم على أسوان أو جنوب مصر[96].

فأما من ناحية البجة فإن المسلمين قد أبدوا عدم الاكتراث بأمر البجة على إثر غزوهم بلاد النوبة عام 31هـ - 652م بقيادة عبد الله بن ابي السرح بينما كان اهتمام المسلمين بالنوبة بالغ الأهمية، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم فتجمع له في انصرافه على شاطئ النيل البجة فسأل عنهم فأخبر بمكانهم فهان عليه أمرهم، فنفذ وتركهم ولم يكن لديهم عقد ولا صلح، وأول من صالحهم عبد الله بن الحبحاب وعلى أن عدم الاكتراث لهؤلاء لم يكن من مصلحة العرب فبعد فترة من الزمن لا تتعدى ثلاثة وسبعين عاماً وجد هؤلاء القوم في أنفسهم الكفاءة مما دفعهم إلى القيام بغارة إلى مصر عام 107هـ - 725م، وعندئذ تنبه العرب إلى خطورتهم إذ تذكر لنا المصادر لأول مرة عن غارة قام بها هؤلاء البجة وهم سكان الصحراء ما بين النيل والبحر الأحمر على صعيد مصر والظاهر أن المسلمين ردوا هذا الهجوم وصدوه ولكن محاولاتهم هذه باءت بالفشل ذلك أن عبد الله بن الحبحاب السلولي قد هزمهم وعقد معهم أول معاهدة ظلت قائمة زهاء قرن من الزمان[97].

لم يحافظ البجة على العهد الذي قطعوه مع ابن الحبحاب، فكثرت غاراتهم على جهات أسوان فرفع أمرهم إلى الخليفة المأمون العباس فكانت له معهم وقائع انتهت بموادعتهم وإبرام عهد جديد بينه وبين كنون بن عبد العزيز زعيم البجة ومن أهم شروط هذا العهد:

1. أن تكون بلاد البجة من حدود أسوان إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للخليفة وأن يكون البجة ورئيسهم عبيداً له على أن يكون كنون ملكاً للبجة.
2. أن يؤدي ملك البجة الخراج أو البقط كل عام على ما كان عليه أسلافه مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار.
3. أن تحترم البجة الإسلام ولا يذكروه بسوء وألا يعينوا أحداً على أهل الإسلام.
4. ألا يمنعوا أحداً من المسلمين الدخول في بلادهم والتجارة فيها براً أو بحراً.
5. ألا يمنعوا أحداً من المسلمين تاجراً أو مقيماً مجتازاً أو حاجاً، فهو آمن حتى ينزح من بلادهم، وهذا الشرط يدل على أن العرب المسلمين كانوا يذهبون إلى شرقي السودان للتجارة أو للإقامة أو للمرور أو للحج، وهي في مجموعها مما تدعو إلى الاستقرار أو البقاء في تلك المنطقة.

6. إذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجاراً فلا يظهرون سلاحاً ولا يدخلون المدن والقرى بحال. تدل الشروط على أن المسلمين كانوا يترددون على شرق السودان وأن أهلها كانوا أسبق إلى الإسلام من أهل شمال السودان[98].

وهناك شرطان في غاية الأهمية هو ما يتعلق بأهل البجة حيثما يدخلون صعيد مصر والآخر يتعلق بدخول عمال المسلمين لقبض الصدقات وهما:

1. إذا دخل البجة صعيد مصر مجتازين لايشهرون سلاحا ولا يدخلون الموانئ والقرى
2. وألا يهدموا شيء من المساجد التي بناها المسلمون بصيحة وهجر.

وموضع الأهمية أن البجة أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية ويطبق عليها شرط البلاد التي تفتح عنوة» بدليل فرض الخراج – وجمع الصدقات دليل على وجود بعض المسلمين بها[99]. ومن يعرف طباع البجة يتيقن أنهم لا بد أن يثوروا على العرب ذلك أنهم شعروا أن بنود العهد مع ابن الجهم فيها كثير من الظلم، والعهد الغير متكافئ فأغاروا في عهد المتوكل على مناجم الذهب بالعلاقي فندب المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القمي سنة 854م وأمروا إليه في مصر أن يمده بالرجال وقاد القمي جيشاً عرمرماً يبلغ تعداده عشرين ألفاً من نظاميين ومتطوعين، وعند مروره على وادي العلاقي تبعه من ربيعة ومصر واليمن ثلاثة آلاف وحملت المراكب المؤن إلى ميناء عيذاب، وكانت خطة البجة هي عدم الالتقاء في معركة في أول الأمر، بل المطاولة والمناوشة البسيطة وامتداد خط مواصلات المسلمين حتى يوغلوا في الصحراء وتنفذ أقواتهم وبعدها يلاقونهم بهذه الحالة من الجوع ونقص الكفاءة الحربية ولكن القمي قابل هذه الخطة بما أفسدها إذ ظلت إمداداته بالمراكب تتوالى إلى ميناء عيذاب وأخذ زمام المبادأة بالقتال حتى تمكن من الغلبة عليهم، وعندها طلب ملكهم علي بابا الصلح بأن يدفعوا الخراج وألا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن، وافق القمي على الشروط وزادها بأن يطأ علي بابا بلاط الخليفة في سر من رأي «سامراء» عاصمة العباسيين آنذاك هناك أكرم الخليفة وفادته، وبعد أن نقل لهم ملكهم ما شاهده من قوة وعظمة المسلمين أدركوا أن لا قبل لهم بمعاداتهم[100].

أقام العرب في شرق السودان حول مناجم الذهب بوادي العلاقي، وكان البجة في نزاعات دائمة مع المسلمين، فلما ازدادت تحرشاتهم حاربهم عبد الله بن الجهم في عهد المأمون 831م – وانتصر عليهم وتم بينهما صلح وعقدوا معاهدة تضع حداً لتحرشاتهم وإلزامهم بالمحافظة على مساجد المسلمين التي ببلادهم، ووضعوا شروطاً يدفعوا بموجبها الخراج، ويقدموا التسهيلات اللازمة للمسلمين سواء أكانوا مقيمين أو مجتازين بأرضهم واحترام عقيدتهم إلا أنهم نقضوا العهد بعد خمسة وعشرين عاماً واعتدوا على المسلمين فبعث المتوكل قائده محمد بن عبد الله القمي 854م لمحاربة البجة، ثم عقدوا معاهدة تقضي بأن يدفع البجة الجزية المتأخرة التي منعوها مدة أربع سنوات

ودفعها بانتظام مستقبلاً[101]. وكثر عدد الوافدين إلى أرض البجة مما ترك أثراً في معتقدات السكان أو أسلوب حياتهم، فأصبحت شبيهة بحياة المسلمين، فسموا أبناءهم بأسماء عربية ودفنوا موتاهم على الطريقة الإسلامية[102]. وبهذا تحول البجة إلى الإسلام بصورة تدريجية لسبب تأثرهم بالمسلمين الذين وفدوا إليهم.

لقد كان عهد ابن الجهم قد قضى بضم البجة إلى الدول الإسلامية وفرض الجزية عليهم والسماح بحرية الحركة والتجارة والعمل في المعدن، والاستقرار في أرض المعدن، وذلك بمنعهم من دخول مدن الصعيد، ودخولهم الأرياف غير مظهرين السلاح، وربما كانت صرامة هذا العهد من أسباب تمرد البجة ثانيةً في عهد المتوكل وتجريده حملة ضدهم بقيادة محمد القمي في عام 851م، وهزمت الحملة البجة وأسرت ملكهم وقادته إلى بلاط الخليفة فأعاده المتوكل حاكماً بعد أن رضى بالخضوع ودفع الجزية، ثم دخل أرض البجة تاجر مغامر كان أصلاً من علماء الدين وهو عبد الرحمن عبد الحميد العمري الذي تمكن من تنظيم المجموعات العربية وقيادتهم ضد البجة وإخضاعهم وتنظيم أعمال التجارة والتعدين بين أرض المعدن وسواحل البحر الأحمر وصعيد مصر، غير أنه دخل في صراعات عديدة مع ملك المقرة، ومع أحمد بن طولون حاكم مصر ومع القبائل العربية المتصارعة في إقليم البجة انتهت باغتياله بعد أن كاد أن يؤسس أول إمارة عربية في شرق السودان.

وأدت هذه الحملات العسكرية بالإضافة إلى الهجرات إلى زيادة عدد المستقرين العرب في شرق السودان، وأخذ بعض من ربيعة في مصاهرة البجة وكذلك مصاهرة الكواهلة مع البجة وظهرت مجموعات من المستعربين والمسلمين كالحدارية وباتجاه القرن الرابع عشر اضمحلت تجارة المعدن مما أدى إلى نزوح جماعي نحو النيل مما شكل ضغطاً على الممالك النوبية المسيحية[103].

لقد أدخلت البجة بعض جماعات من العرب من قبائل بلي وجهينة بغرض التجارة وجذبتهم أرض المعادن والمراعي عقب الفتح الإسلامي لمصر، وبديهي أن يدخل البجة أو بعضاً منهم في دين الإسلام نتيجة اختلاطهم بالعرب، كما أن فريقاً من عرب هوازن عبروا البحر الأحمر والذين عرفوا فيما بعد بالحلانقة وأقاموا في بلاد البجة ثم رحلوا بعد ذلك لإقليم التاكا وكسلا، كما أن بعضاً من بني أمية قد استقروا في ميناء باضع، ودلت الأبحاث الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية، وعلى وجود مسجد في سنكات، يتضح أنها طرق الفارين من الأمويين. وهناك بعض الروايات تقول ببقاء بعض أفراد ممن كانوا في غزوة «ابن الجهم» في أراضي البجة وربما نزحت بعض القبائل من صعيد مصر وتوغلوا في الصحراء الشرقية تحت ضغوط قبائل عربية أخرى، إذن فإن بلاد البجة قد أصبحت مجالاً حيوياً لقبائل عربية مسلمة بعضها ذهب يدعو للإسلام وللجهاد في سبيل الله، وبعضهم ذهب للتجارة، وبعضهم جذبهم معدن الذهب، وبعضاً منهم نزح تحت ضغط قبائل أخرى

وبعضهم تخلف بعد نجاح حملات تأديبية، وبعضها عبر البحر الأحمر واستقر على الساحل الغربي وبعضها توغل في الصحراء ولجأ إلى البجة خوفاً من سيف العباسيين[104]. ويشير اليعقوبي وهو المؤرخ المعاصر للأحداث إلى أثر الجماعات الإسلامية المختلفة بأرض البجة ودورهم في نشر الثقافة الإسلامية بين البجة[105]. فقد زار ابن الحسن المسعودي مصر في عام 332هـ - 940م أي بعد حملة العمري بسبعين سنة، يتحدث عن الأثر الواضح للجماعات العربية الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية في إقليم البجة، ذلك يعني أن الإسلام ظهر وانتشر بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجة، ومناجم الذهب والعلاقي وعيذاب، فكانت ربيعة هم الذين اختلطوا بالبجة وتزوجوا من بناتهم، فاشتد ساعد البجة على من ناوأهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة على من خالفها من العرب ونجحوا في وضع أساس أول إمارة إسلامية عربية بالعلاقي بعد أن استمالوا إليهم قبيلة مضر وتميم، ويشير المقريزي إلى استيلائهم على معدن الذهب في العلاقي، فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم، وصارت لهم مرافق بأرض البجة، ووصل الإسلام جنوباً حتى سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام تعرف بالخاسة[106]. ويشير ابن خلدون إلى هجرة عبد الرحمن العمري إلى هذه المناطق إذ أنه خرج غضباً لله بعد اعتداءات البجة على صعيد مصر 60هـ فهي توحي بوصول العرب المسلمين إلى هذه المناطق[107]، وجاءت الاتفاقيات فيما بعد تأكد سلامة المسلمين في مناطق البجة سواء كانوا للتجارة براً وبحراً أو للتعدين وبالتالي فتحت اتفاقية ابن الجهم 216هـ هذه البلاد للمؤثرات الإسلامية[108]. وقد أشار فانتيني إلى أثر التعدين ووجود العرب والتزاوج مع البجة في نشر الإسلام[109]، ويبدو أن الشطر الأكبر من انتشار الإسلام في هذه المناطق قد تم في أيام الفاطميين[110]، ففي هذه الفترة كانت هجرات بني سليم وهلال أي منذ القرن الثالث عشر الميلادي في نشر الإسلام بين البجة خاصة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

فالمسعودي حين زار مصر عام 516هـ - 940م نجد أنه يحدثنا عن اختلاط عرب ربيعة بالبجة وباتحاد الفريقين فغلبوا على من ناوأهم سواء كانوا من النوبة أو غيرهم من السكان، ويذكر أن أميرهم أبا مروان بشر بن اسحق بن ربيعة يتحكم في جيش قوامه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة ومن حالفهم من العرب وثلاثين ألف من الحداربة من حضر موت على الإبل، ويذكر لنا المسعودي عن وصول الإسلام إلى جزيرة سواكن حيث تقيم جماعة اعتنقت الإسلام تعرف بالخاسة. ومن هذا يتضح لنا هذه الهجرات العربية قد تمت في ظروف مختلفة لم يكن طابعها العام يتسم بالعمل السريع والمنظم، ما ينتجع عنه انقلاب فكري واجتماعي، بل أهم ما يميزها أنها كانت تسرباً سلمياً واجتماعياً فرضته دوافع اجتماعية كالزواج والمصاهرة والاندماج، ودوافع سياسية نظراً لتغير الأوضاع السياسية في البلاد العربية، ودوافع اقتصادية

بحثـاً عـن معـادن الذهـب والتجـارة في منتجـات تلـك الأقاليـم، وقـد تـم ذلـك في بـطء وسـهولة وعـلى مـدى أجيـال متعاقبـة، كمـا أن هـذه الهجـرات كان ينتهـي بهـا الأمـر في نهايـة المطـاف إلى الاندمـاج في حيـاة السـكان المحليـين الذيـن كانـوا ينتمـون إلى عنـاصر متعـددة كالحاميـة والزنجيـة ومثـل هـذا ينطبـق عـلى تلـك الثقافـة

التـي حملوهـا معهـم إلى مهاجرهـم الجديـدة،[111] والتـي انصهـرت في مجموعـة مـن الثقافـات التـي كانـت منتـشرة في البيئـات المحليـة.

أثبتـت الأبحـاث الأثريـة (الآركيولوجيـة) وجـود جاليـات إسـلامية في منطقـة خورنبـت الواقعـة عـلى مسـافة 70 ميـلاً غربـي سـواكن إذ عثـر عـلى شـواهد قبـور عربيـة يرجـع تاريخهـا إلى منتصـف القـرن الثانـي الهجـري و760م، وهـذا التاريـخ يشـير إلى فـترة الخليفـة العبـاسي الثانـي أبـو جعفـر المنصـور، ودل هـذا البحـث الأثـري عـلى وجـود مسـجد في سـنكات يرجع تاريـخ بنائـه إلى عـام 218هـ - 831م حتـى خلافـة المعتصـم وهـذا يـدل عـلى أن الهجـرات العربيـة جـاءت عـن طريـق البحـر الأحمـر واسـتقرت في أرض البجـة واختلطـت بهـم وتزوجـت منهـم وتعلمـت اللغـة البجاويـة ليسـهل عليهـم التعامـل مـع البجاويـين في هـذه المنطقـة. والثابـت أن القـرن السـادس عـشر الميـلادي كان نقطـة تحـول وعهـد انتقـال لهـذه القبائـل مـن المسـيحية إلى الإسـلام عـلى أيـدي جماعـة مـن العلمـاء الذيـن قدمـوا مـن الحجاز ومصر[112].

لقـد شـق الإسـلام طريقـه إلى البجـة عـن طريـق هجـرات جماعـات عربيـة مـن بـلي وجهينـة نزحـت إلى هـذه الجهـات للتجـارة عقـب الفتـح الإسـلامي لمـصر، وليـس مـن المسـتبعد أن ينـشر أفرادهـا الإسـلام بصفـة جزئيـة في منتصـف القـرن السـابع الميـلادي[113]. ولـم يكـن يمـضي أكثـر مـن سـت سـنوات عـلى حملـة ابـن الجهـم عـلى البجـة حتـى وفـدت جماعـات إلى وادي العلاقـي بعـد أن وصلتهـا أنبـاء وجـود المعـادن في هـذا الـوادي[114] ولا شـك أن هـذه الجماعـات تركـت لونـاً مـن التأثـير فيمـن اختلطـت بهـم مـن البجـة، بـل أن بعضهـم تخلـف في بـلاد البجـة وتعلـم اللغـة البجاويـة ليسـهل عليـه التعامـل مـع البجاويـين والتأثـير فيهـم والدليل عـلى ذلـك أن زكريـا صالـح المخزومـي مـن سـكان جـدة وعبـد اللـه بـن اسـماعيل القـرشي قامـا بترجمـة عقـد ابـن الجهـم إلى اللغـة التبداويـة[115]. وزاد إقبـال العـرب عـلى أرض المعـادن منـذ عهـد المعتصـم لأنـه اسـتكثر مـن الجنـد الأتـراك وأثبتهـم في الديـوان وأمـر واليـه في مـصر بإسـقاط مـن ديـوان مـصر مـن العـرب وقطـع العطاء عنهـم وأدى ذلـك إلى ثـورة عربيـة ضـد الـوالي انتهـت بـأسر زعمـاء الثـورة مـن العـرب. ويتضـح مـن هـذا العهـد أن الإسـلام قـد شـق طريقـه إلى أراضي البجـة كمـا شـقها إلى بـلاد النوبـة مـن قبـل، لأن وجـود المسـاجد والمسـلمين الذيـن يدخـل

عمال المسلمين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم منهم دليل واضح على انتشار الإسلام على نطاق واسع سواء أكانوا عرب من الذين أقاموا هناك، أو من البجة الذين اعتنقوا الإسلام نتيجة اختلاطهم بالعرب. ويظهر أن العرب قد اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالبجة في القرن الثامن الميلادي عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق وادي النيل فوصلوا إليهم تجاراً أو حاجين أو مهاجرين إلى مناطق الذهب والزمرد، كما يظهر أن جماعة من العرب المسلمين كانوا أول من استقر هناك وبنوا مساجد لهم، فهذه كلها ظروف ومناسبات مهدت للعرب للاختلاط بالبجة، ومن هنا خضع البجة في شرق السودان في العهد العباسي للحكم الإسلامي بعد 300 سنة من غزو عبد الله بن أبي السرح فأصبحت جزء من الدولة الإسلامية[116].

ثانيا: دخول الإسلام إلي مملكة علوة:

أما مملكة علوة فقد ذكرت لأول مرة في التاريخ في القرن الرابع قبل الميلاد، وهي تطلق دائما ويراد بها عاصمتها سوبا، وذكر أن بلقيس ملكة سبأ ولدت ولداً، ولخوفها عليه بعثته إلى السودان غربي مدينة سوبا التي كان اسمها سبأ، حرف الاسم لتقادم العهد[117]. كما ورد أن سوبا التي تقع قريباً من الخرطوم هي بلد أسسه عرب آراميين الذين هاجروا من مصر قبل ميلاد المسيح ببضع قرون[118]. وعرفت هذه المملكة باسم علوة أو النوبة العليا وتقع على نحو أربعة عشر ميلاً جنوب شرق الخرطوم، وقد وصفها الإدريسي وذكر أنها غلوة بالغين بدلاً من العين، وانتقلت إليها إدارة الحكم بعد سقوط مملكة مروي بسبب هجوم ملك أكسوم، ويعتقد أن المسيحية انتقلت إليها مع بعض المصريين القدامى الذين لجأوا إلى علوة وغيرها فراراً من الاضطهاد الروماني، وانتشرت المسيحية على نطاق واسع حينما اعتنقها الممالك والزعماء. وكانت علوة مجموعة من الزعامات والولايات الصغيرة وبها أربعمائة كنيسة ودير ولم يكن النظام السياسي يختلف عما كان في مملكة النوبة الشمالية، وإن كان ملك علوة يمتاز بجاه ونفوذ، وأكبر جيشاً وأكثر عدداً، ويرجع ذلك لاتساع المملكة[119]. ولعلوة وعاصمتها سوبا ارتباط حضاري قديم بحضارة سبأ اليمنية القديمة، ومن هنا كان نقل الاسم محرفاً أو احتمال عبور جماعات حميرية للبحر الأحمر واستقرارها في السودان، ونقل أسماء أجدادها معها مثل «كو» وسبأ التي حرفت إلى سوبا العاصمة[120].وعلى الراجح أن حدود علوة تمتد من الأبواب شمالاً إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً، وشملت جهات الاتبرا والنيل الأزرق وحتى حدود الحبشة شرقاً، وبعض جهات كردفان ودارفور غربا[121]. وعندما بدأ تسلل العرب السلمي للسودان

كانت سوبا تتخذ النصرانية ديناً وقد أرسلت ثيودورا امبراطورة بيزنطة بعوثاً تبشيرية إلى السودان سنة 540 م لدعوة الناس لاعتناق المسيحية ونجحوا في رسالتهم وفي وقت قصير، وأصبح الدين الرسمي لمملكة علوة هو المسيحية، وفي عام 580م خلف لونجينوس المبشر الأصلي القسيس جوليان، وذهب من نوباطيا لتنصير أهل علوة بطلب من ملك نوباطيا، وقد لاقى من الصعاب في سفره بسبب ذلك، مما اضطره لترك طريق النهر وسلوك الطريق البري عبر الصحراء الشرقية تحت حماية ملك البجة إلى أن قابله ملك علوة، وقد نجح لونجينوس في مهمته[122]. وقد ذكر المسعودي أن مذهب أهل علوة الذي كان سائداً قبيل فتح العرب لعلوة هو مذهب اليعاقبة[123]. وهذا يعني أن علوة كانت وثنية في القرن السادس الميلادي مما حمل ملكها أن يطلب من القس أن يأتي إلى علوة ليعلم الناس الإنجيل.

كما يتبين لنا أن مملكة علوة قد سيطرت على منطقة واسعة من السودان، وعاشت حقبة طويلة امتدت من القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن السادس عشر الميلادي حيث سقطت في أيدي العبدلاب. ولم تكن مملكة علوة في عزلة تامة عن مصر تماماً، فكنيسة علوة ظلت تابعة للكنيسة المصرية في نشأتها فضلاً عن وجود علاقات تجارية قديمة بين البلدين، بدليل تمسك السلطة المملوكية بمدينة سواكن للإشراف منها على حقوق مصر التجارية في حوض النيل الأوسط. وتعرضت علوة كما سبق أن تعرضت له جارتها مقرة في الشمال من عوامل أدت إلى تفككها وانحلالها وزوال الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية فيها، كما تعرضت لعوامل خارجية منذ القرن الثاني عشر الميلادي من غارات للزغاوة على القوافل التجارية ما بين تشاد غرباً إلى النيل شرقاً، وتعرضت أيضاً إلى شتى غارات من جاراتها في الشمال والغرب للحصول على الرقيق منها[124]. وكان لقطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة وتوقف إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أثر خطير في حياة النوبيين الدينية فأهملت الطقوس الدينية وهجرت الكنائس وخرب معظمها[125]. وقد برزت الأسباب الأساسية لمكاسب الإسلام من الضعف في المجتمعات المسيحية نفسها، لقد جاءت المسيحية كعبادة جديدة دون أن تحدث ثورة في حياة النبلاء أو العامة واتخذت العبادة بشكل حميم مع الثقافة الأجنبية، وكان كل الأساقفة والعديد من رجال الدين مصريين يختارون القساوسة من الرهبان والأقباط، وبسبب الاعتماد على المنوفستية المصرية توقف أي إمداد جديد برجال الدين عندما انقطعت العلاقات مع الاسكندرية لأسباب سياسية[126].

كما انقطعت في زمن الحاكم بأمر الله العلاقات بين دنقلا والإسكندرية، وعندما فقدت الكنيسة القبطية الكثير من هيمنتها، ولم تستطع فرض أي نفوذ مؤثر على الأراضي الجنوبية، كما كانت الطقوس تتم باللغة اليونانية ولا يمكن التعبير عن حياة وإرادة الشعب بلغة أجنبية، وسلطة دينية أجنبية، بالإضافة إلى أن المسيحية كانت ومنذ البداية ديناً للدولة، ولم تخلق أبداً ثورة في حياة الشعب[127].

لقد كان لتكاثر العرب ووجود القبائل العربية في علوة أثر مباشر في سقوطها إذا أصبح عددهم يتغلب تدريجياً على عدد السكان الأصليين، ذلك أن بعضهم استقر في حوض النيل الأوسط، والبعض منهم عبر النيل إلى كردفان، فلما كثر عددهم قضوا على مملكة علوة، وكانت قبيلة العبدلاب من القبائل العربية الهامة في سودان وادي النيل التي ساعدت على سقوط مملكة علوة، وهم من قبيلة رفاعة العربية إحدى مجموعات القبائل الجهينية[128]. وسقوط علوة يدل على أن أعداد كبيرة من العرب وبخاصة من جهينة قد استقرت في مملكة علوة المسيحية، وادى هذا الانتشار الواسع للعرب وعلى مدى عدة قرون تم لهم الاستيلاء عليها والقضاء على علوة المسيحية نهائياً.

لا شك أن تسرب القبائل العربية منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي في أعداد كبيرة إلى مملكة علوة التي تمتد من الأبواب «كبوشية» حتى منطقة سنار أدى بدرجة كبيرة إلى الاختلاط والمصاهرة بين العرب الوافدين والوطنيين على نسق لا يختلف كثيراً عن ما تم بين ربيعة والبجة من جهة، وبينها وبين النوبة من جهة أخرى، ونتيجة لنظام الوراثة عن طريق الأم تبوأ العرب أماكن السلطة، وعن طريق الالتحام نشروا تدريجياً الإسلام والثقافة العربية، وتمثل الوطنيون اللغة العربية، والأنساب العربية تمثلاً تاماً، إلا أن البجة والنوبة رغم أنهم أول من اتصل بالعرب والإسلام إلا أنهم حافظوا على لغتهم المحلية، وعلى إثر ذلك شهد الجزء الشمالي من السودان الشرقي اختلاطاً بين العرب والنوبة والبجة من جهة، وبين الإسلام والمسيحية والوثنية من جهة أخرى، وكيفما كان الأمر فإن اكتمال انتشار الثقافة الإسلامية وغلبتها كان من مجهود الفقهاء، ورجال الطرق الصوفية فيما بعد في كنف ملوك العبدلاب والفنج والفور إلى حد ما[129].

وبذلك توغلت العروبة والإسلام حتى حوض بحر الغزال وجبال النوبة رغم وعورة مسالكها وصعوبة التوغل فيها، فقد تأسست دولة تقلي في أطرافها الشمالية الشرقية وكانت عاملاً في نشر الإسلام حتى وصلت إقليم تلودي[130].

قيام الدويلات الإسلامية:

وإزاء تزايد تيار الهجرة العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشمالي، وحالة الفوضى التي كانت عليها المنطقة، وصراعات الملوك حول السلطة، وغزوات الحكومات الإسلامية في مصر، كلها تعد عوامل أساسية أدت إلى سقوط الدولة المسيحية في دنقلا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، مما فتح الباب أمام القبائل العربية لتتدفق جنوباً، مكونة حياة مستقرة بعد أن عجز ملوك النوبة عن مدافعتها، وبقيت دولة علوة المسيحية تنتظر مصيرها المحتوم وذلك بعد قرابة قرنين من الزمان لتتوحد هذه القبائل وتنتهي الدولة المسيحية في علوة في مطلع القرن السادس عشر الهجري مما يعني أن تحولاً سياسياً وثقافياً واجتماعياً وروحياً قد طوق بلاد السودان الشمالي وشهدت قيام دويلات وإمارات عربية إسلامية كان لها الدور الكبير في نشر الإسلام في بقية بلاد السودان الأوسط والغربي فيما بعد.

لقد كان تبادل الجماعات والثقافات بين مصر النوبة من أكبر وأهم الأسباب التي ساهمت في اضمحلال وسقوط مملكة النوبة المسيحية فقد خرجت من النوبة جماعات مسيحية التحقت بجيش مصر، بينما لفظت مصر بعض عناصر الشغب فيها، وهم جميعاً من العرب المسلمين فأنسابوا إلى النوبة، ثم أخذ هؤلاء يؤثرون تأثيراً بشرياً وثقافياً فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة على حين أن العناصر النوبية النازحة إلى مصر لا بد أن تكون تحولت إلى الإسلام بدليل ما تردد في بعض المراجع من «شكوى أهل مصر من ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بالجند السودانيين»[131].

وطرأ تطور على الحياة السياسية فأضحى الحكم وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، وتكونت زعامات إقليمية تولاها شيخ المشائخ وهو عادةً شيخ أقوى قبيلة في المجموعة وعرف باسم الملك أو المانجلك» وبهذا اختفى نظام الوراثة القديم، أي نظام الأمومة.

ولعل أهم أثر لقيام هذه المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط هو ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد، وما رأت القلة التي بقيت على النصرانية أن لا أمل لها في قيام حركة للإصلاح في مجتمعهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى في الإسكندرية، كان من الطبيعي أن ينشدوا ما يسد رمقهم الروحي في الدين الإسلامي الذي دل بين اتباعه على قوة وحيوية[132].

وعلى الرغم من تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في هذا الجزء من حوض النيل فإن هذا لم يؤد إلى استقرار الأحوال بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعي من ناحية وبينها وبين

الوطنيين من ناحية أخرى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية، وتعطيل التجارة بين مصر وهذه البلاد مما أطر الحاجة الماسة إلى إنشاء حكومات مركزية[133].

أولاً: قيام الأمارة العمرية:

كان البجة سكان الصحراء الشرقية يقومون بغارات مفاجئة على الصعيد المصري، وفي عهد الدولة الطولونية أرسل أحمد بن طولون حملة لتأديب البجة والنوبة بقيادة عبد الله بن عبد الحميد العمري، وسارت هذه الحملة عام 254هـ/868م وقامت الحملة بنشاط كبيرة في بلاد النوبة التي لم تكن تتأثر بالنفوذ السياسي للممالك المسيحية، وهي المنطقة التي تقع جنوب الشلال الرابع والتي غزاها العمري في القرن الثالث الهجري (إقليم شنقير) شرق أبو حمد وكانت حملة العمري لها عدة أغراض ولم يكن المقصود بها قبائل البجة فقط وإنما شملت المناطق النيلية، وكانت بعض المصادر ترجع هدف الحملة إلى اكتشاف المعادن، والبعض يرجع هدف الحملة إلى تأديب المعتدين على الأراضي المصرية، وهناك من المصادر ما يؤكد أن هدف الحملة الأساس هو نشر الإسلام والدعوة إليه، وأياً كان هدفه فقد تأسست ولاية عربية إسلامية كانت سبباً في فتح باب الهجرة إلى الجنوب أمام القبائل العربية وبعد أن قضى العمري على البجة اتجه غرباً إلى النيل في إقليم المريس ودمر مدنه واتجه جنوباً وراء وادي العلاقي حتى وصل إلى شنقير قرب مملكة الأبواب حيث اكتشف مواقع جديدة لمعدن الذهب، واشترك معه في تأسيس الولاية أعداد كبيرة من ربيعة وجهينة وهدف إلى إقامة أمارة مستقلة تحت زعامته[134].ولعل ازدياد نفوذ العمري يوضح رغبته في إقامة إمارة عربية إسلامية تحت زعامته في بلاد النوبة بعيداً عن الدولة الطولونية في مصر، ولكن ابن طولون عندما سمع بنفوذ العمري وسلطانه خاف من انفصاله ببلاد النوبة، فأرسل إليه حملة عسكرية بقيادة شعبة البابكي ولكن العمري هزمها مما اضطرت للعودة إلى مصر، وقام أحمد بن طولون بتأنيبه ولكن العمري أرسل له رسالة يعلمه فيها بأن ما يهدف إليه من بسط النفوذ العربي لا يعتبر بمصلحة مصر وبأنه يعمل من أجل الإسلام والمسلمين[135]. وكانت هذه الأمارة قد فتحت الباب أمام النازحين العرب، وشجع العرب على الاستقرار في هذه المنطقة، وقد علمنا فيما سبق أن الهجرات العربية هي صاحبة الفضل الأول في نشر الإسلام في بلاد النوبة وذلك عن طريق الاحتكاك والاندماج والمصاهرة وقد أكد كثير من الباحثين أن الإسلام ينتشر عن طريق التأثير والقدوة والمعاملة وغيرها من الأساليب التي كانت سبباً في نشر الإسلام في معظم البلدان التي دخلها الإسلام.

وهناك من الكتاب من رأى أن إمارة العمري لم تكتمل بسبب اغتياله،

وأكدوا أنه كادت أن تقوم أمارة إسلامية تحت زعامته لولا مقتله، ولكن نرى أنه طالما اكتملت مقومات الأمارة الإسلامية فإنها تعد من الأمارات الأولى التي تكونت والتي كان لها دور عظيم في نشر الإسلام بين البجة والنوبة.

ثانياً: إمارة بني الكنز:

لقد كانت حملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التي أضعفت السياج السياسي لنظام الحكم في بلاد النوبة ومهدت لغلبة العرب الذين استطاع روادهم من بني الكنز اعتلاء عرش النوبة في سنة 1323 معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأم وعلى تأييد النوبة المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش المملوكية، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبي مسيحي خالص إلى فرع نوبي مسلم مستعرب، وبسقوط مملكة المقرة المسيحية في أيدي المسلمين إنهار السد المنيع الذي كان يحول لعدة قرون دون توغل العرب في حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل الساخطة على نظام الحكم في مصر إلى بلاد النوبة ثم إلى المراعي الواسعة عبر صحراء العتمور، ونتيجة لتدخل المماليك لم يعد النظام الذي ورثه بنو الكنز قادراً على الصمود طويلاً أمام تدفق العربان من الشمال الشرقي، فاضطر بنو الكنز إلى التقهقر إلى الدر في منطقة المريس، تاركين بلاد النوبة في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في حالة سيئة من الفوضى[136]. وبعد أن ارتبط العرب بالنوبيين وتزوجوا بنات الزعماء كونوا طبقة حاكمة أزالت نفوذ الملك المسيحي في تلك المنطقة، ويبدو أن كثيراً من النوبيين تحولوا إلى الإسلام، والدولة الفاطمية سرها امتداد الإسلام لبلاد النوبة واعترفت بالأمارة، بل استعانت بأمير ربيعة في مطاردة ثوار بني أمية، ومنهم أبو ركوة الذي فر هارباً إلى بلاد النوبة، واستطاع هبة الله أبو المكارم امير ربيعة القبض عليه فأضفى عليه الحاكم الفاطمي لقب كنز الدولة تكريماً ومكافأة له وصار كل زعيم يحمل هذا اللقب بل عرفت القبيلة ببني الكنز، وهم الكنوز المعروفون اليوم وعندما جاء الأيوبيون إلى الحكم ساءت علاقتهم مع بني الكنز وذلك بسبب استبدال صلاح الدين الأيوبي للجنود السودانيين بالشراكسة والأتراك والديلميين فثاروا عليه ودارت معارك بين الجنود السودانيين وجيش صلاح الدين فانهزم السودانيين وفشلوا في محاولتهم إعادة الفاطميين إلى الحكم ونتيجة لذلك نقل بني الكنز عاصمتهم من أسوان إلى الجنوب في أرض النوبة وتم اندماجهم مع سكانها[137].

استفادت ربيعة من نظام الوراثة عند البجة ونجحت في السيطرة عليهم، وعلى أرض المعادن وقد تم لها ذلك حيث تزوج أمراؤها من بنات حكام البجة فأنجبوا أبناء ورثوا الأمارة عن أخوالهم ويذكر ابن حوقل أن

في زمنه – أي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان يرأس الحدارية أجمع رئيسان هما كوك وعبدك، ويعرف كوك بأنه خال أبي القاسم حسين بن علي بن بشر وأما عبدك فهو خال اسحق بن بشر صاحب العلاقي[138]. ثم آلت إلى اسحق بن بشر برئاسة الإمارة التي جمعت بين ربيعة والحدارية، وتتفق معظم المصادر على أن رئاسة الأمارات آلت إليه دون غيره، وأن صاحب المعدن سنة 332هـ – هو أبو مروان اسحق بن بشر واستمر حاكما لأمارة ربيعة في العلاقي مدة إلى أن قتل نتيجة لنزاع نشب بين رجالها[139]. وبعد مقتل أبو مروان اختارت القبيلة أبو يزيد بن اسحق والذي ينتهي نسبه إلى معد بن كرب بن ربيعة وكان يتمتع بشخصية قوية حازمة، وكانت القبيلة في ذلك الوقت في حاجة إلى شخصية قوية تحفظ لها وحدتها وقوتها ونقل مركز الأمارة إلى أسوان وهناك عظم مركزها وزادت ثروتها وأصبح لإمارة ربيعة دور ممتاز في ميدان السياسة والاقتصاد، وفي ميدان العلاقات بين بلاد النوبة والدولة الفاطمية في مصر.

نجح بنو الكنز بعد أن رحلوا عن أسوان، وبعد قرابة قرن ونصف قرن من الزمان في إقامة أمارة ثانية لهم في بلاد النوبة، وقد تم لهم ذلك بعد أن ورثوا عرش المقرة المسيحية وساعدهم على ذلك قدرتهم على الاندماج مع أهالي البلاد والاستفادة من نظام الوراثة بمصاهرة أهل النوبة، ذلك النظام الذي يعطي حق الوراثة لابن البنت أو ابن الأخت، وهو نفس نظام الوراثة المطبق عند البجة، كما استفادوا من اشتراكهم في الحملات العسكرية التي وجهها المماليك ضد بلاد النوبة فكسبوا ود المماليك مما زاد في تدعيم نفوذهم في تلك البلاد[140]. ومعنى سيطرة المماليك على منطقة مريس، أن يسيطر بنو الكنز على بلاد النوبة ذلك أن منطقة المريس هي المنطقة التي رحلوا إليها بعد هزيمتهم على يد قوات صلاح الدين الأيوبي، واتخذوها قاعدة لبناء إمارة ثانية لهم في بلاد النوبة واستطاعوا أن يستولوا على قلعة الجبل أهم قلاع تلك المنطقة، كما اضطر ملك دنقلا للاعتراف بنفوذهم في منطقة مريس، بل اعترف برئيسهم نائباً عنه في حكم قلعة الجبل[141]. ويؤيد هذا الرأي المصادر العربية التي ذكرت أن صاحب قلعة الجبل وقت أن هاجمتها قوات بيبرس كان شخصاً يدعى قمر الدولة وهذا لقب اسم أمير بني الكنز في ذلك الوقت، وقد سهل قمر الدولة للقوات المملوكية مهمتها ضد الملك داؤود ملك النوبة[142].

ازدادت الحالة الاقتصادية في مصر سوءاً في نهاية القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري بسبب المجاعة الطويلة المنقطعة التي حلت بمصر، وقد صحب هذه المجاعة انتشار الوباء وموت آلاف المصريين، وتسببت

هـذه الضائقـة الاقتصاديـة في زيـادة الاضطرابـات في البـلاد مـا دفـع أعـداد هائلـة مـن قبائـل هـوارة وفـزارة وجهينـة الموجـودة بشـمال البـلاد إلى الهجـرة جنوبـاً إلى بـلاد النوبـة، وكانـت حكومـة بنـي الكنـز مـن الضعـف وقتـذاك بحيـث أنهـا لـم تسـتطع رد هـذه القبائـل النازحـة وتحالفـت قبيلـة هـوارة مـع بنـي الكنـز غـير أنها مـا لبثـت أن ناصبتهـا العـداء واشـتبكت معهـا في معركـة حاميـة في أسـوان انتهـت بهزيمـة بنـي الكنـز وتخريـب مدينـة أسـوان وقتـل عـدد كبـير مـن أهلهـا[143]. وضعـف مركـز بنـي الكنـز وتقلـص نفوذهـم إلى منطقـة مريـس، وصـاروا اتباعـاً لقبيلـة هـوارة ودانـوا لهـا بالـولاء، غـير أن هـوارة نفسـها ضعـف نفوذهـا في منتصف القـرن التاسـع الهجـري ممـا أدى إلى تدخـل السـلطنة المملوكيـة واسـتعادة نفوذهـا في منتصـف القـرن التاسـع الهجـري في هـذه البـلاد. وبعـد ذلـك حـدث صراع بـين بنـي الكنـز وجهينـة ولمـا لـم يسـتطع بنـو الكنـز ردهـم فاضطـروا إلى مصانعتهـم ومصاهرتهـم حتـى آل الحكـم إلى قبيلـة جهينـة عـن طريـق نظـام وراثـة أبنائهـم لعـرش بنـي الكنـز[144].

قـام بنـو الكنـز بـدور هـام في نـشر الإسـلام بـين قبائـل البجـة الوثنيـة وقبائـل النوبـة المسـيحية وكان لهـم الفضـل الأكـبر في تحـول هـذه القبائـل عـن ديانتهـا وإقبالهـم عـلى ديـن الإسـلام، أمـا عـن البجـة فقـد أدى اسـتقرار القبائـل العربيـة ومنهـا قبيلـة ربيعـة إلى تـسرب الإسـلام إليهـا، وشـاهد ذلـك تلـك المسـاجد التـي بنيـت في بلادهـم والتـي نصـت المعاهـدة المعقـودة سـنة 216 بـين ابـن الجهـم وملكهـم كنـون بـن عبـد العزيـز رئيـس البجـة عـلى حمايتهـا ورعايتهـا، كمـا أن هجـرة ربيعـة الكـبرى إلى بلادهـم 238هـ وممـا ترتـب عـلى ذلـك مـن اندمـاج بـين ربيعـة والبجـة، ونتيجـة لهـذه المصاهـرة سـيطرة الحداربـة عـلى الفـرع الآخـر الـذي لـم يسـلم والمسـمى بالزنافـج[145]. وهـذا أدى إلى أن تسـارع القبائل إلى اعتناق الإسـلام خاصـةً بعـد أن اسـتقر بينهـم بنـو كاهـل أصهـار ربيعـة الذيـن ورثـوا عنهـم حكـم قبائـل البجـة في الصحـراء الشرقيـة[146]، كمـا بـدأ انتشـار الإسـلام بـين أهـل منطقـة المريـس منـذ أن بـدأ العـرب يرحلـون إليهـا، والدليـل عـلى دخـول الإسـلام بـلاد النوبـة أن عقـد البقـط اشـتمل عـلى رعايـة المسـجد الـذي بنـاه العـرب هنـاك، ولـم تـشر المصـادر إلى تحـول النوبيـين للإسـلام حتـى أواخـر حكـم الأخشـيديين لمـصر، ولكـن في العـصر الفاطمـي يذكـر لنـا ابـن سـليم الأسـواني أن كثـير مـن النوبيـين اعتنقـوا الإسـلام عـلى الرغـم مـن جهلهـم باللغـة العربيـة[147]. ويكفـي لإبـراز هـذا التحـول أن كنـز الدولـة نـصر بـن شـجاع قـام في اوائـل القـرن الثامـن الميـلادي بإنشـاء مسـجد في دنقـلا عـلى انقـاض كنيسـة دنقـلا الشـهيرة.

كان ملـك النوبـة كرنبـس عـام 1315م قـد راودتـه فكـرة التخلـص مـن

التبعية المملوكية فامتنع عن أداء الجزية فأرسل السلطان المملوكي حملة للقبض عليه ولكنه لجأ لبلاد الأبواب، فاختار المماليك في القاهرة ملكاً جديداً من الأمراء النوبيين وهو عبد الله برشمبو الذي أسلم وحسن إسلامه عام 1316م، وطالب كنز الدولة ابن اخت كرنبس بحقه في العرش وأيده خاله الهارب كرنبس ووصى عليه سيما أن نية السلطان قد اتجهت إلى تعيين ملك مسلم، غير أن السلطان أصر على تثبيت برشمبو، واحتجز كنز الدولة ومنعه من العودة لبلاد النوبة، وهكذا تربع على عرش المقرة المسيحية أول حاكم مسلم[148]. ولما كان برشمبو قد استعان بسلطان المماليك في تثبيت ملكه، فقد كان أول من استعان بقوة خارجية أو دولة خارجية في تثبيت ملكه ثم استمرت هذه العادة مع بقية الملوك حين يعجزون عن الوصول إلى الحكم بمفردهم يستعينوا بقوات أو دول خارجية من أجل تحقيق ذلك.

ثالثاً: مشيخة العبدلاب:

أمام ضغوط الجماعات العربية وأهمها جهينة فقد اضطر ملك علوة إلى نقل مقر ملكه في القرن الرابع عشر الميلادي إلى مدينة كوسا واتخذها عاصمة له، وبهذا تكون سوبا قد فقدت مركزها القديم كعاصمة لعلوة فاضمحل شأنها وخربت دورها[149]. واستولى العرب على معظم أقاليم علوة، وذلك لا يعني سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل، ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم ولم تكن جهينة الوحيدة التي استفادت من تداعي مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها قبائل عربية أخرى – ونشأت في جوفها أمارات عربية مستغلة، ويذكر القلقشندي أن ثماني أمارات كان بين أمرائها والسلطنة المملوكية في مصر مراسلات في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، فقد ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي عدة ممالك ومشيخات إسلامية في حوض النيل الأوسط[150]، وكان لظهورها أثر خطير في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية وساعد على زوال بعض الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية في علوة، كما أن اختلاط العرب بالسكان الأصليين أزال بعض العادات الاجتماعية القديمة.

إن القبائل العربية حينما استقرت في بلاد النوبة السفلى وبلاد البجة ووجهت بحقيقة أن بلاد النوبة السفلى ليست مما يستطاب البقاء فيه لأنها لا تستطيع أن تعول عدداً كبيراً من البدو، بسب قحطها وجفافها وقلة مراعيها، وأن الصحراء الشرقية كان يسكنها البجة وهم شعب محارب، وهذا الأمر يترتب عليه احتكاك حربي من نوع ما، وقد حدث نزاع بين جهينة ورفاعة في صحراء عيذاب[151]، لذلك هجر كثير من العرب هذه المواطن وساروا مع

النيل حتى وصولوا إقليم المراعي ثم اتجهوا نحو الجنوب الغربي أو نحو كردفان وإلى الجنوب الشرقي نحو عطبرة والنيل الأزرق ثم إلى الجزيرة[152]، وأسباب هذه الهجرات نحو الجنوب كثيرة منها: «توقف التعدين وانتقال طريق الحج، وتدهور عيذاب واضطراب قوافل التجارة الشرقية، وتوقف النشاط الاقتصادي الذي اعتمد عليه كثير من العرب، فاضطرت أغلبيتهم إلى السير داخل السودان حتى بلغو أرض البطانة ثم الجزيرة وكردفان، وكانت جهينة أكبر هذه القبائل، وتسللت إلى أرض علوة بصورة سلمية، وبلغت قبائل جهينة وحدها اثنين وخمسين قبيلة[153].ولم تكن علاقة العرب بعلوة وليدة القرن الرابع عشر الميلادي، بل ترجع إلى القرون الأولى من ظهور الإسلام فقد ذكر اليعقوبي الذي كتب في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي أن المسلمين كثيراً ما كانوا يترددون على عاصمتها سوبا في أيامه، ويؤكد الداعية الفاطمي أحمد بن عبد الله بن سليم الأسواني الذي زارها في أواخر القرن العاشر أن المسلمين قد توغلوا في علوة بقصد التجارة بما في ذلك تجارة الرقيق وقد شيدوا لهم رباطاً خاصاً في سوبا، وقد جمع الدمشقي معلومات عن تلك المنطقة من تجار أسوان الذين يترددون عليها[154].ولما كثرت القبائل العربية في النوبة العليا أي في حوض النيل الأوسط كونوا أمارات ودويلات عربية، والدليل على ذلك اتخاذ مدينة أربجي مركزاً لهم قبل سقوط سوبا وأنها كانت عاصمة العبدلاب قبل قيام مدينة قروي أو قرّي، وذلك بعني أن العرب قد نجحوا من قبل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في تأسيس ممالك ومشيخات عربية إسلامية في حوض النيل الأوسط من الشلال الثالث حتى مدينة أربجي وما بعدها بقليل، وعليه فإن الشيخ عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة قام بدور كبير في قيام مشيخة العبدلاب وسقوط علوة وذلك بتحالفه فيما بعد مع دولة الفونج. ولما كان قيام دولة الفونج خارج الإطار الزمني لهذا البحث فقد رأينا أن نشير إلى أن تحالفهم مع العبدلاب ضد العنج هو الذي ساعد على القضاء على العنج وأدى بدوره إلى قيام أول حكومة إسلامية منظمة وظلت حتى بداية العهد التركي المصري.

قال الشيخ إبراهيم عبد الدافع «وانتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية، وكان كبيرهم عمارة دنقس، وفي جوارهم عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع فاتحد عمارة وعبد الله على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيدي العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج في سوبا فقتلوهم شر قتلة وخربا سوبا ثم سارا إلى قري فقتلا ملكها واستولوا على البلاد كلها وذلك سنة 910م»[155]. ويذكر

شبيكة «ذكروا في التواريخ التي رأيتها أن أول من تولى وملك من ملوك الفونج الملك عمارة دونقس، وكان العنج قبله تقلبوا على النوبة وجعلوا مدينة سوبا مركز سلطنتهم» ويوصف حالة البلاد الدينية وانتشار الإسلام فيها نقلاً عن ود ضيف الله. ووصف اجتماع عمارة دونقس وعبد الله جماع في محاربة ملك سوبا وملك قري وانتصروا عليهم، وأن عبد الله جماع اختط مدينة قري لتكون عاصمة له عند جبل الرويان. وتتفق نسخة المتحف البريطاني اتفاقاً شبه كامل مع نص شبيكة إلا أنها تستخدم كلمة ملوك القرى أو ملك القرى بدلاً من ملوك الغرب، وملوك القرى أو ملك الغرب هم ملوك المقرة وإنما هي قريّ غير المعروفة بالألف واللام وهي المدينة التي اختطها عبد الله جماع باتفاق سائر الروايات[156]. ويشير ماكمياكل إلى أن العرب أصبحوا يمتلكون السهول، على حين يسكن الزنوج التلال وقد تم النصر غالباً بالاتفاق والتزاوج أكثر مما اكتسب بقوة السلاح، وأن الظاهرة الأساسية في التاريخ الجنسي لشمال السودان ووسطه منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كانت ظاهرة الاندماج التدريجي بين العرب والسود. وهذا الانتشار الواسع للعرب لم يتم دفعة واحدة وإنما استغرق عدة قرون، وفي البداية كانت تعيش في شكل مجموعات تحت سلطان ملوك علوة، محافظة على نظامها. وكانوا يدفعون أتاوة لملوك علوة، ولما اشتد ضغط أعراب جهينة على ملوك علوة، ولما لم يستطيعوا لهم دفعاً استمالوهم إليهم بالمصاهرة فانتقل الملك إلى أبناء جهينة من بنات ملوك علوة حسبما يقتضي به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين[157].

نلاحظ أن انتشار الإسلام في بلاد السودان سار بهدوء وبطء إذا ما قيس ببلاد السودان الغربي لعدة أسباب أولها أن الهجرات العربية لم تكن فتحاً عسكرياً بل كانت هجرات سلمية تحتاج لعنصر الزمن لتحقيق غاياتها وأهدافها وثانيها أن المهاجرين العرب لم يكن هدفهم الأول هو نشر الإسلام، وإنما البحث عن أماكن الرعي والاستقرار[158]. هذا فيما يتعلق بالسودان الشرقي والأوسط، وتمدد القبائل العربية في النوبة السفلى والعليا .أما فيما يتعلق بغرب السودان أو غرب نهر النيل فقد كانت مؤثراته تختلف عن مؤثرات السودان الأوسط والشمالي، ذلك أن المرابطين قد اتخذوا وسيلة الجهاد لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية في صورة نادرة وفي ما عدا ذلك قد تأثرت أيضاً بالبرابرة والقبائل العربية التابعة للدولة الأموية فيما يعني أن مؤثراته أتت من منطقة المغرب العربي والتي دخلها الإسلام منذ القرن السابع الميلادي ، فعليه نجد أنه تكونت دويلات إسلامية كإمارة الفور في دارفور وتقلي في كردفان ولكن برزت هذه الدويلات في وقت متأخر وخارج نطاق هذا البحث الزماني.

الخاتمة:

لقد ظل السودان بحكم موقعه يمثل وعاءً لانصهار واندماج الأعراق والثقافات السامية والحامية والزنجية المهاجرة إلى القارة الإفريقية ، والسودان كبلد مرتبط مع من حوله من الثقافات والحضارات كان لا بد له أن يتأثر بالمقومات البشرية حضارياً وثقافياً، فقد أدت الهجرات العربية الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي وحتى القرن السادس عشر إلى تأثيرات ثقافية واجتماعية كبيرة في شرق وشمال السودان مما أطاح بنظام الحكم في الممالك المسيحية السودانية .

ولقد رأينا كيف أن هؤلاء العرب بدأت هجراتهم إلى السودان منذ وقت بعيد وسلكت هذه القبائل العربية طرقا شتى للوصول إلى بلاد السودان، وأهم هذه الطرق هو الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر وباب المندب .

ولما كانت هذه الهجرات العربية هي المؤثر الأكبر في نشر الاسلام في السودان وذلك عن طريق الاحتكاك والاندماج والمصاهرة مما أدى إلى انتشار الاسلام في السودان ولكن بصورة بطيئة وتدريجية أضف إلى ذلك دور التجار والعلماء ومجهوداتهم في هذا الصدد. وكما عقد المسلمون معاهداتهم مع ملك النوبة كذلك اتخذت الحكومات الاسلامية معاهدات مماثلة مع البجة الذين شكلوا تهديدا كبيرا لهذه الحكومات، فكانت هذه المعاهدات بعد الحملات العسكرية على البجة هي أهم المقومات التي جذبت القبائل العربية لها خاصة أن منطقة البجة اتسمت بغناها بمعدن الذهب بالإضافة إلى المراكز التجارية التي أكسبت هذه المنطقة أهمية بالغة خاصة بالنسبة للتجار العرب مما أحدث تحولا تدريجيا للبجة نحو الاسلام.

فقد تحالفت ربيعة مع الحداربة في وادي العلاقي لتأسيس اول إمارة إسلامية كما تصاهرت ربيعة مع النوبة في المريس ودنقلا لتؤسس إمارة بني الكنز الإسلامية التي كان لها الدور الأكبر في إسقاط المملكة النوبية المسيحية ليصعد إلى السلطة أول حاكم نوبي مسلم ولم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى كان أغلب النوبيين قد أعتنقوا الاسلام فأنقطعت الجزية بسبب إسلامهم .

أما دخول الاسلام الى غرب السودان فقد كان بسبب مؤثرات عربية وتأثير البرابرة في المغرب العربي وبتأثير الممالك الإسلامية التي قامت حول بحيرة تشاد في السودان الغربي مما أدى لظهور امارات الفور وتقلي غير أنها برزت في وقت لاحق خارج نطاق هذا البحث الزمني .

المصادر والمراجع

(1) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا وأحوال المسلمين بها – مكتبة الرشد 7002م، ص 321.

(2) ج. سبنسر تريمنجهام – الإسلام في السودان – ترجمة فؤاد محمد عكود – المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ص 11.

(3) محمد عبد الغني سعودي – الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة – القاهرة، معهد البحوث العربية ص أ. المقدمة.

(4) عبد العزيز أمين عبد الحميد – التربية في السودان والأسس النفسية التي قامت عليها – مكتبة كنوز القاهرة ـ_ص81

(5) عبد العزيز أمين عبد الحميد – مرجع سابق - ص 02.

(6) عبد الغني عبد الفتاح أبو زهرة- مرجع سابق- ص 421.

(7) نفس المصدر- ص 621.

(8) جودة حسنين- العالم العربي، القاهرة-ص 521.

(9) عبد الفتاح مقلد الغنيمي - مرجع سابق – ص 21-61.

(10) عباس عمار – وحدة وادي النيل – أسسها الجغرافية ومظاهرها في التاريخ – ص 08.

(11) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – ص 951-061.

(12) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة في العصور الوسطى – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة – ص 901.

(13) عبد الفتاح مقلد الغنيمي - مرجع سابق، ص 91-12.

(14) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مصدر سابق – ص 45.

(15) حسب الله محمد احمد- قصة الحضارة-مرجع سابق-ص271.

(16) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – مرجع سابق – ص 91.

(17) المرجع نفسه-ص12.

(18) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية – مرجع سابق – ص 05.

(19) السر سيد أحمد العراقي (كسلا/ التاريخ والحضارة) – 0102م – 1341هـ - ص 03.

(20) محمد عوض محمد – السودان الشمالي سكان وقبائله – جامعة فؤاد الأول 1591م – القاهرة – ص 82.

(21) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - 7691م – ص 7.

(22) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – ص 951-061.

(23) محمد عوض – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 92.

(24) المرجع نفسه – ص 03.

(25) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 72-82.

(26) 26حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 161.

(27) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 71.

(28) عبد الله الطيب – هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ – مؤتمر الإسلام في أفريقيا – الكتاب الرابع نوفمبر 6002 – ص 62.

(29) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 8.

(30) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 131-231.

(31) المرجع نفسه – ص 13.

(32) سيدة كاشف – مصر في فجر الإسلام -القاهرة– ص 752.

(33) 33Mac Micheal. H.A.A history of the Arabs in the Sudan. Vol.1. P.P. 3-4.

(34) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية – الدار السودانية للكتب – ص 16.

(35) اليعقوبي – كتاب البلدان – ص 433.

(36) اليعقوبي – كتاب البلدان – نشر دي عويه 8981م – ص 033-133.

(37) المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ج – ص 81.

(38) عبد الحميد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 11.

(39) مكي شبيكة – مملكة الفونج الإسلامية – القاهرة 3691م – ص 61-71.

(40) مصطفى محمد مسعد – الإسلام النوبة في العصور الوسطى – مرجع سابق – ص 591.

(41) Mac Micheal H.A. A history of the Arabs in the Sudan. P.324.

(42) ابن بطوطة – الرحلة – ج 1 – مصر 2231هـ - ص 451.

(43) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 441-641.

(44) ابن بطوطة – مصدر سابق – ص 381.

(45) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق – ص 05-15.

(46) محمد عوض – السودان الشمالي – سكانه وقبائله – القاهرة – مرجع سابق – ص 53.

(47) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا – مرجع سابق – ص 31.

(48) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 921.

(49) Mac Maicheal. A history of the Arabs in the Sudan. P.P. 3-4.

(50) Hamlton – J. A، ed. The Anglo – Egyption – in Sudan from wilhin – P.24.

(51) محمد حافظ النقر – الصراع الإسلامي المسيحي في الحبشة - مجلة دراسة أفريقية – العدد التاسع يوليو 3991م – المركز الإسلامي – ص 97.

(52) أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – القاهرة – 3891م – ج 6 – ص62.

(53) شوقي الجمل – تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ص 93.

(54) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق ص 2.

(55) حسن احمد محمود – الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص 55-75.

(56) زاهر رياض – الإسلام في أثيوبيا – دار المعرفة – القاهرة 4831هـ - 4691م – ط1 – ص 09-001.

(57) شوقي عبد القوي عثمان – التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة 2002م – ص 52، والكارمية طائفة من تجار السودان اختصوا بتجارة البهار كالفلفل والقرنفل وغيرها – وهي كلمة أمهرية «Kuaraima» تعني الحبهان وهي تابل اشتهروا بالتجارة فيه.

(58) حورية توفيق مجاهد – الإسلام في أفريقيا ودافع المسيحية والديانة التقليدية – القاهرة 2002م – ص 521.

(59) عبد الله سالم محمد بازينة – منشورات جامعة 7 أكتوبر – مصراتة – ليبيا – 0102م – ص 521.

(60) المقريزي – السلوك لمعرفة دول الملوك – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة 3981م – ج4 – ص 03.

(61) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 091.
(62) عون الشريف قاسم – الجزء الثاني – 6991م – ص 465.
(63) نفس المصدر – ص 479-089.
(64) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – ط2 – مرجع سابق – ص 051.
(65) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 832.
(66) عفاف مكاوي محمد قيلي – أساليب نشر الدعوة الإسلامية في السودان – ماجستير غير منشور – جامعة الخرطوم 9991م – ص 48.
(67) محمد النور ضيف الله – كتاب الطبقات – ص 012-112.
(68) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني في السودان – دار الجيل بيروت 7891م – ص73.
(69) مكي شبيكة – مملكة الفونج الإسلامية – القاهرة 4691م – ص 91.
(70) محمد المكي إبراهيم – الفكر السوداني أصوله وتطوره – مصلحة الثقافة – الخرطوم 6791م – ص 04.
(71) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – ط – 7691م – ص 43.
(72) عبد الفتاح عبد الغني زهرة – مرجع سابق – ص 251.
(73) عبد العزيز عبد المجيد – التربية في السودان – مرجع سابق – ج 1 – ص 6.
(74) أحمد محمود حسن – مرجع سابق – ص 252.
(75) جعفر محمد دياب – طائفة العلماء في السودان – النشأة والتطور حتى نهاية الدولة المهدية – مجلة المؤرخ السوداني – العدد الثالث – 5102م – ص 09
(76) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ المماليك الإسلامية – ص 391.
(77) وانظر Mac Micheal، Arab in the Sudan، P.P. 35- Im
(78) المرجع نفسه – ص491.
(79) كرم الله الصاوي باز – ممالك النوبة في العصر المملوكي – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة 6002م – ص 833.
(80) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني – مرجع سابق – ص 73.
(81) عفاف مكاوي – أساليب نشر الدعوة الإسلامية في السودان – مرجع سابق – ص 58.
(82) حسن محمد الفاتح قريب الله – التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج – ماجستير جامعة الخرطوم 5691م – ص 92.

(83) عوض السيد الكرسني وعبد الله محمد عثمان: المجذوبية والمكاشفية – طريقتان صوفيتان في السودان – ترجمة أسماء عبد الرحمن – رسالة ماجستير جامعة الخرطوم 9891م- ص 09.

(84) يحيى محمد إبراهيم – مدرسة أحمد بن إدريس المغربي – دار الجيل بيروت ط1 – 3991م – ص 503.

(85) نفس المصدر – ص 603.

(86) 85ب.م. هولت – الأولياء الصالحون والإسلام في السودان – ترجمة هنري رياض – الجنيد علي عمر – مكتبة خليفة عطية – السجانة الخرطوم – ط2 – 1931هـ - 1791م – ص 01.

(87) trimining. Ham – Islamin Sudan. P.P.98-104.

(88) المقريزي – الخطط – مصدر سابق ج – ص 39.

(89) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 041-141.

(90) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية _ مرجع سابق _ص 221.

(91) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 13.

(92) تريمنجهام – الإسلام في السودان – مرجع سابق – ترجمة فؤاد محمد عكود.

(93) لمسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ص 3 – أنظر المقريزي – الخطط القاهرة – مجلد ص 313-913.

(94) حسب الله محمد أحمد – قصص الحضارة – مرجع سابق-ص 881.

(95) السر سيد أحمد العراقي – كسلا التاريخ والحضارة – مرجع سابق – 0102م – ص 13-23.

(96) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 143.

(97) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – دار الجيل بيروت – 1991م – ص 03.

(98) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 74-84.

(99) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 241.

(100) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 611-711.

(101) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 33-43.

(102) محجوب زيادة – الإسلام في السودان – دار المعارف – مصر 6991م – ص 92.

(103) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني في السودان – مرجع سابق – ص 32.
(104) قيصر موسى الزين، فترة انتشار الإسلام في السلطنات – مرجع سابق – ص 33.
(105) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في الإسلام – مرجع سابق – ص 15-25.
(106) لمرجع نفسه – ص 26.
(107) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 721 – نقلاً عن اليعقوبي – كتاب البلدان – مرجع سابق ص 433-533.
(108) المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – مرجع سابق – ج 3 – ص 03-43.
(109) ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر – مرجع سابق – ص 363.
(110) عوض صالح علي – أثر الإسلام في البجة (2-01) هـ - (8-61)م – ماجستير جامعة الخرطوم – كلية التربية 8991م – ص 842.
(111) Vantini، G، Christianity in the Sudan Publishers. Eni. Bologna. Italy 1981.P. 89.
(112) بشير إبراهيم بشير – الفاطميون والبحر الأحمر – مجلة كلية الآداب – جامعة الخرطوم – العدد الأول 2791م – ص 241-051.
(113) لسر سيد أحمد العراقي – كسلا التاريخ والحضارة – مرجع سابق – ص 33-53.
(114) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق ص ص 711-811.
(115) ابن حوقل – صورة الأرض – مرجع سابق – ص 35.
(116) لمقريزي – المواعظ والاعتبار – مرجع سابق ج 1 – ص 691.
(117) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 84-94.
(118) المرجع نفسه – ص 65-95. وأنظر أيضاً محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – ص 68.
(119) 118عبد المجيد عابدين – السودان الأوسط والسودان الغربي – الخرطوم 2791م – ص 32.
(120) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – العربي للنشر والتوزيع – القاهرة 6891م – ص 701.
(121) محمد عبد الرحيم – العروبة في السودان – ص 41.
(122) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق ص 09.
(123) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – القاهرة 6691م – ص 61-52.
(124) المسعودي –التنبيه والاشراف–ليدن 7681 – ص 151

(125) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق، ص 381-881.
(126) ارنولد – قوماس – الدعوة إلى الإسلام – ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون – القاهرة 5791م، ص 001.
(127) ج – سبنسر تريمنجهام – الإسلام في السودان – ترجمة فؤاد محمد عكود – المجلس الأعلى للثقافة - 1002م، ص 28.
(128) ج – سبنسر تريمنجهام – مرجع سابق، ص 39.
(129) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 011.
(130) يوسف فضل الله حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 12-22.
(131) محمد عوض محمد - السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 23
(132) مصطفى مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 831-931.
(133) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – ص 321.
(134) آرنولد – الدعوة إلى الإسلام – مرجع سابق – ص 001.
(135) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – مرجع سابق – ص 321.
(136) المرجع نفسه – ص 821.
(137) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 91.
(138) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 83.
(139) ابن حوقل – صورة الأرض – ج5 – مرجع سابق – ص 55.
(140) عطية القوصي– تاريخ دولة الكنوز الإسلامية – دار المعارف بمصر 1891م – ص 63.
(141) عطية القوصي – تاريخ دولة الكنوز الإسلامية – مرجع سابق – ص 58.
(142) لمرجع نفسه – ص 88.
(143) ابن خلدون – العبر – مرجع سابق – ج5 – ص 004.
(144) المقريزي – الخطط – مرجع سابق – ج3 – ص 582.
(145) عطية القوصي – مرجع سابق – ص 501-601.
(146) لمقريزي – الخطط – مرجع سابق – ج3 – ص 212.
(147) ابن بطوطة – الرحلة – ج1 – مرجع سابق – ص 53-63.
(148) المقريزي – مرجع سابق – ص 091.
(149) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 05.

(150) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 302.

(151) نعوم شقير – تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته – ج2 – مرجع سابق – ص 301.

(152) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 81،21.

(153) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 351-251.

(154) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق – ص 87.

(155) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 32.

(156) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 202،391.

(157) نعوم شقير – تاريخ السودان – مرجع سابق – ص 637.

(158) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية –

(159) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا – مرجع سابق _ص51.